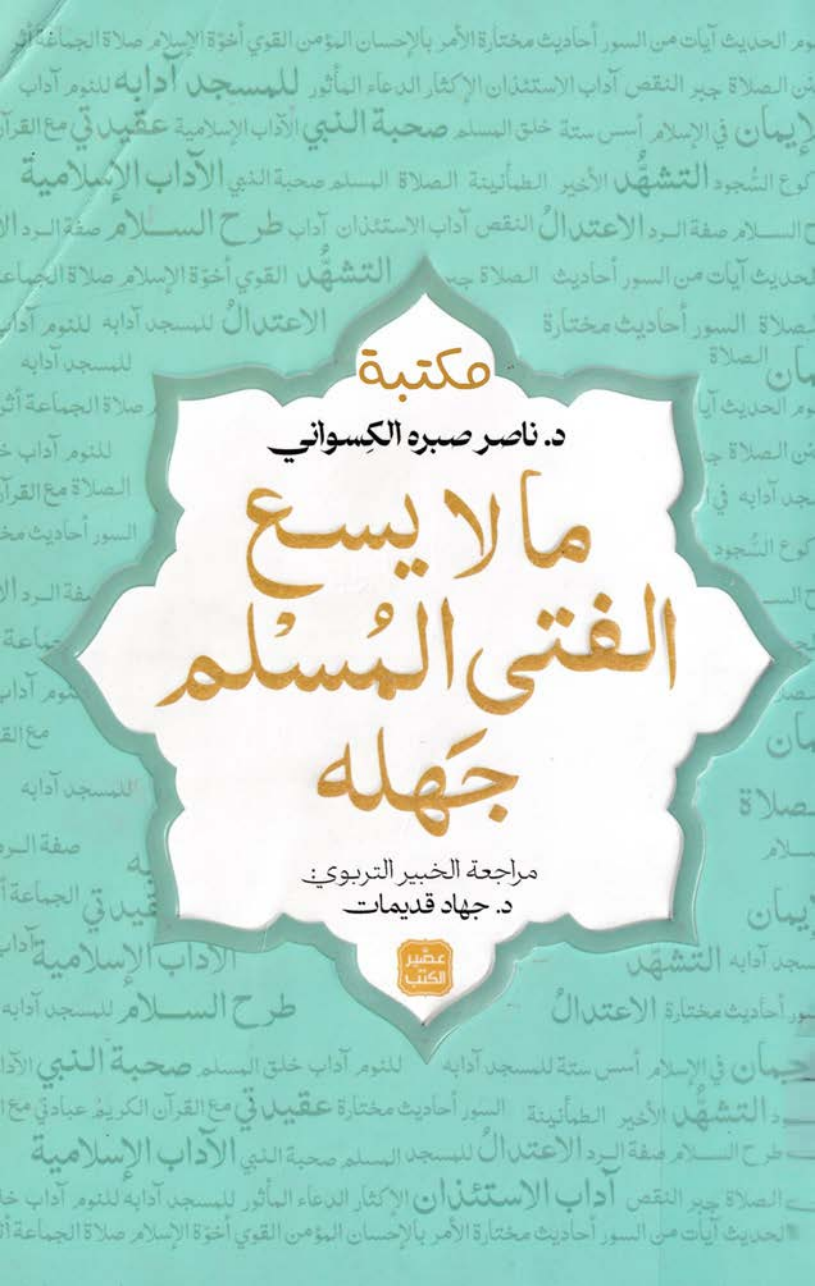


مكتبة

د. ناصر صبره الكسواني

ما لا يسع الفتى المسلم جهله

مراجعة الخبير التربوي:
د. جهاد قديمات



د. ناصر صبره الكسواني

ما لا يسع الفتى المسلم جهله

مراجعة الخبير التربوي:
د. جهاد قديمات





للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● العنوان: ما لا يسع الفتى المسلم جهله ●

- تأليف: د. ناصر يونس صبره الكِسواني
- مراجعة الخبير التربوي: د. جهاد قديمات
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: يوليو 2025

● رقم الإيداع: 10180/2025م

● الترقيم الدولي: 2-520-992-977-978

مكتبة

t.me/soramnqraa



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

مَا لَا يَسْعُ
الْفَتَى الْمُسْلِمُ
جَهْلُهُ



المحتويات

9.....	المقدمة
	المجلس الأول
13.....	عقيدتي
	المجلس الثاني
33.....	مع القرآن الكريم
	المجلس الثالث
71.....	مع الحديث النبوي الشريف
	المجلس الرابع
109.....	عبادتي
	المجلس الخامس
141.....	في صحبة النبي ﷺ
	المجلس السادس
201.....	خلق المسلم
	المجلس السابع
229.....	الآداب الإسلامية
261.....	الخاتمة





إهداء

إلى أبنائي وبناتي من فتيان وفتيات المسلمين
الذين يسعون إلى ترسيخ الإيمان في قلوبهم
وعقولهم...

إلى فتيان وفتيات المسلمين الذين يريدون
معرفة دينهم ليزدادوا هدى...

إلى فتيان وفتيات المسلمين الذين يرجون
تحقيق الاستقامة على الصراط المستقيم
مسترشدين بخطى الحبيب محمد ﷺ...

المقدمة مكتبة

t.me/soramnqraa

العلم نور يهتدي به الإنسان في كل شأن، وبخاصة في أمر دينه، إذ لا يجوز لمسلم أن يُقَدِّمَ عَلَى عمل حتى يعلم أحكامه، فمن أراد عبادة الله تعالى لا بد أن يتعلم ما يتعلق بها، سواء كانت صلاة أم زكاة أم حجًا، ومن أراد الزواج لا بد أن يتعلم ما يتعلق به من أحكام أساسية، ومن أراد البيع والشراء وكل شأن من شؤون دنياه إذا أراد أن يقدم عليه لا بد أن يلم بما يتعلق بالحلال والحرام فيه، ولعل هذا هو المقصود بما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾.

لذا كان هذا الكتاب الموجه إلى أبنائنا وبناتنا من الفتيان والفتيات، ليقدم لهم زادًا من الثقافة الشرعية التي تهمهم في مرحلتهم العمرية من البلوغ إلى تخرجهم في المدرسة الثانوية.

وقد تَكُونُ هذا الكتاب من سبعة مجالس، جاءت على النحو التالي:

(1) أخرجه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: دار إحياء الكتب العربية)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (224).

المجلس الأول: عقيدتي، وتناولنا فيه أهم القضايا العقدية، من خلال مناقشة محوري العقيدة الإيمان والإسلام.

المجلس الثاني: مع القرآن الكريم، وتناولنا فيه بعض المسائل التي تعد مقدمة لدراسة القرآن وتفسيره، ثم انتقلنا إلى آيات وسور من القرآن الكريم منتقاة، وبيناً ما فيها من معانٍ وفوائد.

المجلس الثالث: مع الحديث النبوي الشريف، سرنا فيه على نهج المجلس السابق، حيث قدمنا بمقدمة عن علوم الحديث، ثم انتقينا مجموعةً من الأحاديث التي شرحناها شرحاً مجملاً وبيناً ما فيها من فوائد.

المجلس الرابع: عبادتي، وتناولنا فيه أهم الأحكام المتعلقة بالطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج.

المجلس الخامس: في صحبة النبي ﷺ، في هذا المجلس تعيشون مع مواقف من سيرة النبي ﷺ، وحرصنا ألا ندون لأبنائنا إلا ما هو مقبول مبتعدين عن غير المقبول.

المجلس السادس: خلق المسلم، تناولنا فيه مجموعة من الأخلاق والقيم الإسلامية التي يجب غرسها في نفوس أبنائنا، حتى يزدادوا قرباً من الله ﷻ.

المجلس السابع: الآداب الإسلامية، وهو المجلس الأخير، واسمه يدل عليه، حيث تناولنا فيه أهم الآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم وأن يتربى عليها من صغره حتى تغدو سجية له. ثم كانت خاتمة وجيزة.

ونظن أننا بهذا قد غطينا جوانب مهمة في الثقافة الشرعية مما ينبغي للفتى أو الفتاة أن يعلمه ومما لا يسعه جهله من أمور

دينه، سواء في العقائد أو الفقه أو التفسير أو الحديث أو السيرة أو الأخلاق أو الآداب.

ولقد حرص المؤلف على ألا ينقل في كتابه إلا ما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله ﷻ ومن السنة المقبولة عند أهل الحديث، والابتعاد عن الخلاف بقدر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وسلك فيه بأسلوب الحوار بين شيخ أو أستاذ وتلامذته، إلا في بعض المواطن التي رأى فيها السرد أولى من الحوار.

وقبل أن ننقل إلى المقصود لا بد أن أتوجه بالشكر للدكتور المربي جهاد قديمات، الذي راجع الكتاب، فأتحفنا بملاحظات وملاحظات زادت من قيمة الكتاب.

وكذلك أتوجه بالشكر الجزيل للأخ محمد شوقي مدير دار عصير الكتب على دعمه وحثه لإصدار هذا الكتاب ونشره.

وختامًا: هذا الكتاب جهد بشري يعتريه ما يعترى عمل البشر من نقصٍ وخطأ، فما كان فيه من صواب فهو من الله ﷻ وما كان فيه من غلط وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله لي صدقة جارية في صحيفتي إلى يوم الدين.

د. ناصر صبره الكسواني

أستاذ التفسير ومدير معهد رُواق

المعرفة لعلوم ومعارف الوحي

ضاحية الرشيد- عَمَّان

29 / رجب / 1446هـ

29 / 01 / 2025م

المجلس الأول

عقيدتي

افتتح الشيخ مجلس اليوم كعادته بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وشرع في بيان موضوع درسه اليوم وهو عقيدة المسلم، وبَيَّن لتلاميذه أنه سيدير درسه بأسلوب الحوار حتى يرسخ في العقول أكثر.

فبادر أحد الطلاب بالسؤال مستغرباً الموضوع، فقال:

يا شيخنا اسمح لي أن أسألك عن مفهوم العقيدة، وماذا يراد به؟
الشيخ: العقيدة هي ما يجب على المسلم الإيمان به، سواء الإيمان بالله ﷻ أو بملائكته أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر، أو القدر خيره وشره، وما يتفرع عن ذلك من الأصول والأركان وما يلحق بذلك.

يسأل أحمد: من أين يستقي المسلم عقيدته؟

الشيخ: للعقيدة مصدران رئيسان، وهما أساس الدين الإسلامي كُلُّه:

الأول: كتاب الله، القرآن الكريم (كلام الله).

والثاني: السنة، وهي الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ.

وليد: كيف سندرس العقيدة؟

الشيخ: دراسة العقيدة الإسلامية تستلزم تقسيمها إلى محاور،

وأهمها محوران:

الأول: الإيمان.

والثاني: الإسلام.

سعيد: فماذا نعني بالإيمان؟

الشيخ: الإيمان هو التصديق اليقيني بجميع ما جاء به النبي ﷺ،

كوجود الله -تعالى-، وأركان الإيمان وأركان الإسلام وغيرها

من أمور الدين الواجب التصديق بها.

والإيمان محلُّ القلب، ويُصدِّقه اللسان بالنطق بالشهادتين،

ويؤكده العمل بالقيام بالطاعات واجتناب المعاصي.

خالد: هل للإيمان أسس يقوم عليها؟

قال الشيخ: نعم، يقوم الإيمان في الإسلام على أسس ستة،

تسمى أركان الإيمان.

وهذه الأركان هي:

1 - الإيمان بالله.

2 - الإيمان بالملائكة.

3 - الإيمان بالكتب.

4 - الإيمان بالرسل.

5 - الإيمان باليوم الآخر.

6 - الإيمان بالقضاء والقدر.

وقد جاء تحديد هذه الأركان في القرآن والسنة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

وجاء في الحديث عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ

فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عَمْرُ أَتَذَرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (1).

خليل: ما المقصود بالركن الأول (الإيمان بالله)؟

يجيب الشيخ: الإيمان بالله يعني الاعتقاد الأكيد بوجود الله
ﷻ، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته، وتوحيده ﷻ في كل
هذه الجوانب.

فنوحده ﷻ بألوهيته، فلا نتوجه بأي نوع من أنواع العبادة
لأحد سوى الله ﷻ، وعليه فنوحده بعبادتنا وبأفعالنا التي لا ينبغي
أن نتوجه بها لأحد سواه، كالصلاة والصيام، والدعاء وغيرها.
ونوحده بربوبيته، فنؤمن بأنه خالق هذا الكون وما فيه،
وهو المتصرف بكل صغيرة وكبيرة في شؤونه وشؤون الخلق،
فهو الرازق وحده وهو المحيي والمميت وحده، وعليه فنوحده ﷻ
بأفعاله التي له.

ونوحده ﷻ بأسمائه وصفاته، فنسميه بالأسماء الحسنى
الواردة في كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ ولا نتجاوزها، وكذلك نصفه
بصفات الجمال والكمال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه

(1) أخرجه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، رقم (367)،
ج1 ص434-435. والإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع
المسند الصحيح المختصر من أمور (حديث) رسول الله وسننه وأيامه،
تحقيق: مصطفى البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1987م)، كتاب الإيمان،
باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة،
رقم (50) عن أبي هريرة ؓ. والإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند
الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث)، كتاب الإيمان، باب
بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، رقم (8).

محمد ﷺ، فلا يجوز لأحد أن يصف الله ﷻ بصفة لم يصف بها نفسه أو لم تأت على لسان رسوله ﷺ.

سعيد: بعد أن تعرفنا على الركن الأول، فهل لك أن تحدثنا عن الركن الثاني، لو تكرمت؟

الشيخ: الركن الثاني هو الإيمان بالملائكة.

ونعني بالإيمان بالملائكة: أن يؤمن المسلم ويعتقد بوجود خَلْقٍ خلقهم الله ﷻ قبل البشر من نور، ولهم وظائف أوكّلها الله بهم، ولهم القدرة على التشكّل، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، قائمون بعبادته ﷻ وتدبير شؤون الكون بأمره، ولا يعلم عددهم إلا هو ﷻ.

خليل: وكيف يكون إيماننا بالملائكة؟

الشيخ: ينبغي أن يكون الإيمان بالملائكة على التفصيل وعلى الإجمال، أي: أن نؤمن بمن أخبرنا الله ورسوله ﷺ باسمه، مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، تفصيلاً، أي: أن نؤمن بهم وبأسمائهم.

وأما غيرهم فنؤمن بهم إجمالاً، أي: أن نؤمن أنّ هناك ملائكةً كثيراً غير من ذكرت أسماءهم في الكتاب والسنة.

وليد: ما صفات الملائكة يا أستاذنا؟

الشيخ: الملائكةُ خلقوا من نور، كما روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنّ رسول الله ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا
وُصِفَ لَكُمْ»⁽¹⁾.

وهم خلق عظيم أولو قوة شديدة، قال تعالى في وصف جبريل

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20].

ولهم أجنحة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي
الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1].

ولهم قدرة على التشكل، كما دلت على ذلك قصة مجيء جبريل

إلى مريم -عليها السلام- في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]. وكان جبريل

يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الصحابي دحية الكلبي⁽²⁾، أو⁽³⁾

في صورة أعرابي، كما في حديث جبريل المشهور⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أحمد، المسند، رقم (25194)، ج 42 ص 109. ومسلم، الصحيح
المسند، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (2996).

(2) هو: الصحابي الجليل دحية بن خليفة بن فروة الكلبي القضاعي، رسول النبي
ﷺ إلى قيصر صاحب الروم، شهد اليرموك، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وكان
يشبهه بجبريل ﷺ، مات في المزة قرب دمشق ودفن فيها سنة 45هـ. (محمد بن
أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1422هـ)،
ج 2 ص 550-556).

(3) أخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن، صحيحها: جماعة،
القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ط 1، 1930م)، كتاب الإيمان
وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، رقم (4991).

(4) أخرجه أحمد، المسند، رقم (367)، ج 1 ص 434-435. ومسلم، الصحيح
المسند، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان
بإثبات قدر الله، رقم (8).

وهم لا يعصون الله ولا يخالفون أمره: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27].

وهم أعداد كبيرة جدًا لا يعلمها إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

هذه بعض صفات الملائكة الواردة في الكتاب والسنة.

خالد: أظن أنك يا شيخنا قد أنهيت لنا الكلام عن الركن الثاني، فحدثنا عن الركن الثالث.

الشيخ: الركن الثالث من أركان الإيمان هو الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله، فنؤمن بأن الله ﷻ أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله، منها ما نعرفه، ومنها ما لا نعرفه، وأن القرآن الكريم نسخها جميعًا.

ويفهم من هذا التعريف إذا دققتم الانتباه أن الإيمان بالكتب السماوية، يكون على التفصيل وعلى الإجمال، فنؤمن على التفصيل بالكتب التي ذكرها الله ﷻ في كتابه وذكرها نبيه محمد ﷺ في سنته، وهي القرآن والتوراة والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، ونؤمن إجمالًا بأن هناك كتبًا أخرى أنزلها الله غير ما ذكر في الكتاب والسنة.

بعد ذلك يقول الشيخ:

بهذا نكون قد وصلنا إلى الركن الرابع، فيسأل تلامذته: هل من أسئلة حول الركن الرابع «الإيمان بالأنبياء والرسول»؟

سعيد: بالطبع شيخنا، فقد عودتنا أن نخبرنا، فما معنى الإيمان بالأنبياء والرسول؟

الشيخ: الإيمان بالأنبياء والرسول يعني: التصديق الأكيد بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى توحيده وعبادته، وأنهم جميعاً صادقون مُصَدِّقُونَ، اتقياء أمناء هداة مهتدون، وأظهر ﷺ على أيديهم الآيات الظاهرة تأييداً لهم، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، كاملاً غير منقوص، مع عدم التفريق بينهم بالإيمان، واتباع خاتمهم رسول الله محمد ﷺ.

وكيفية هذا الإيمان أيضاً أنه يكون على الإجمال والتفصيل، فنؤمن على التفصيل بالأنبياء والرسول الذين ذكرهم الله ﷻ في كتابه وذكرهم نبيه ﷺ في سنته، مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونؤمن إجمالاً بأن هناك أنبياء ورسلاً آخرين بعثهم الله ﷻ إلى أمم وأقوام ولم يُذكروا في القرآن ولا في السنة.

خالد: نسمعك شيخنا تقول أنبياء ورسلاً، فهل هناك فرق بين النبي والرسول؟

الشيخ: الرسول: هو رجل معصوم عن المعاصي والذنوب، وعن أي صفة تُخل بتبليغ الرسالة، يبعثه الله ﷻ ويوحى إليه بشرع جديد، ليبلغه إلى قوم كافرين.

والنبي: هو رجل معصوم يبعثه الله ﷻ إلى قوم قد سبق أن بُعث إليهم رسول، ليؤكد رسالة الرسول الذي سبقه، ويرد الناس إليها.

وعليه فالفرق بينهما أن الرسول: هو من أرسل إلى قوم كفار مكذبين بشرع جديد وأمر بتبليغه، **وأما النبي:** فهو من أرسل إلى

قوم مؤمنين بشريعة رسول قبله، يعلمهم ويحكم بينهم، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كُلفوا بتبليغ شريعة موسى ﷺ.

سامر: مَنْ هو أول الأنبياء وأول الرسل؟

الشيخ: أول الأنبياء هو سيدنا آدم ﷺ، كما جاء في الحديث السابق، لكنه ليس برسول لما جاء في حديث الشفاعة يوم القيامة أَنَّ النَّاسَ يَذْهَبُونَ إِلَى آدَمَ ﷺ فيقول: «اِئْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»⁽¹⁾، وهذا نص صريح بأنَّ نوحًا ﷺ كان أول الرسل.

وأما خاتم الأنبياء والرسل فهو سيدنا محمد ﷺ، لذا ميَّز الله رسالة نبيه محمد ﷺ بأنَّها كانت لجميع البشر بينما رسالات الرسل والأنبياء من قبله كانت خاصة بأقوامهم فقط، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: 28].

قال الشيخ نأتي للركن الخامس الإيمان باليوم الآخر، فهل من أسئلة؟

أمجد: ماذا نعني باليوم الآخر؟

الشيخ: بداية لا بدُّ أن نبين المراد باليوم الآخر، فنقول: هو يوم القيامة، الذي يحاسب فيه الله ﷻ الناس على أعمالهم في حياتهم. فيتضمن ما يحدث من وقت الحشر إلى ما لا نهاية، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

سعيد: إذن ما المراد باليوم الآخر؟

(1) أخرجه النسائي، السنن، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، رقم (4991).

الشيخ: المراد بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً.

خليل: ذكرت يا شيخنا عذاب القبر ونعيمه، فهل في القبر حياة حتى يعذب بها الإنسان أو ينعم؟

الشيخ: الحياة التي يعيشها الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 - الحياة الدنيا، التي تنتهي بالموت.

2 - حياة البرزخ، التي تبدأ بقبض الروح والعروج بها والقبر وأحواله وأهواله، وسميت حياة البرزخ، لأنَّ البرزخ في اللغة عبارة عن الحاجز بين الشيئين، فهي فترة حياة بين فترتين فكانها حاجز بين الحياة الدنيا، وحياة الآخرة.

3 - الحياة الآخرة، وهي التي تكون بعد قيام الناس من قبورهم إما إلى جنة، وإما إلى نار والعياذ بالله.

وحياة البرزخ هي أول منازل الآخرة، فقد روى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» (1).

(1) أخرجه أحمد، المسند، رقم (454)، ج 1 ص 35. والترمذي، الجامع، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب، رقم (2308)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، رقم (4267)، وهو حديث حسن.

وقد جاءت النصوص الشرعية مؤكدة وقوعها ومبينة لها، من ذلك قول الله تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46].

وقد تواترت الأحاديث في إثبات عذاب القبر تواتراً معنوياً، منها: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ»⁽¹⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ». قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»⁽²⁾.

نظر الطلاب إلى بعضهم بعضاً بعد أن شعروا أن الشيخ سيتوقف عن الكلام، وقد كادت تدمع عيناه: ثم قال أحمد: وماذا بعد القبر يا شيخنا؟

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (3068). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، رقم (2866).

(2) أخرجه أحمد، المسند، رقم (25419)، ج 42 ص 258. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم (1306). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الكسوف، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف، رقم (903).

الشيخ: إنها الحياة الأخروية، فقد أخبر الله ﷻ عن يوم القيامة وأهواله في كتابه العزيز في مواطن كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1 - 2]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شدة الأمر وفضاعته. وموعد يوم القيامة من الغيب الذي استأثر الله ﷻ بعلمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، وقال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: 47].

خليل: صف لنا سيدي الجنة، وصف لنا حال أهلها.

الشيخ: الحديث عن الجنة يطيب ويطول، ويكفي أن نعطر مجلسنا بطرف منه.

إِنَّ من يدخلون الجنة يُنْضَرُ اللَّهُ وجوههم، ويُغَيَّرُ تكوينهم ليناسب هذا المقام العالي الذي دخلوه، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]. (3149). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم (2834).

وقد جعل الله ﷻ للجنة ثمانية أبواب عظيمة، قال الله تعالى:
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 23].

وجعل لها ﷻ درجات، وذلك حسب أعمال أهلها، قال ﷻ:
﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 21]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا
عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 132].

وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من
أنواع النعيم، فمهما تخيلتها فلن توفيقها حقها، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا
أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»⁽¹⁾.

وفي الجنة أنهار ذكرها ﷻ في كتابه فقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ
طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا
مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

وأما سعة الجنة فلا يعلمها إلا الله، وقد أخبرنا ﷻ عن عرضها
بأنه كَعَرْضِ السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 21].

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في
صفة الجنة وأنها مخلوقة، (3072). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الجنة
وصفة نعيمها وأهلها، أول الكتاب، (2824).

قال الشيخ: أكتفي بهذا القدر من الحديث عن الجنة، ونسأل الله أن يرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.

فأَمِّن الطلاب على دعاء شيخهم، وهم مبتسمون.

أحمد: فهل تصف لنا جهنم؟

الشيخ: جعل الله جهنم دركات، والعيان بالله، بعضها أسفل من بعض، وأشدَّ عذابًا من بعض. والدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتبارًا بالصعود، والدرك اعتبارًا النزول للأسفل، ولهذا قيل: درجات الجنة، ودركات النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، وأهلها في العذاب على مراتب ودركات، وذلك حسب أعمالهم، كما قال ﷺ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

ولجهنم سبعة أبواب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ١٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44-43].

وهذه الأبواب السبعة تُغلق على الكافرين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البعد: 20]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: 8-9]. ونار جهنم وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24].

ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وقد بين النبي ﷺ أقل أهلها وأهونهم عذابًا فقال ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ، عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي

مِنْهُمْ دِمَاعُهُ»⁽¹⁾. لذلك هم يتمنون الموت فلا يموتون! قد اسودت وجوههم، وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم.

فدعا الشيخ له ولتلاميذه: اللهم أعذنا من جهنم.

فأَمَّن الطلاب على دعاء شيخهم يعلو وجوههم علامات الوجل.

ثم قال الشيخ: وصلنا إلى الركن الأخير من أركان الإيمان.

مهند: هل جليته لنا شيخنا؟

الشيخ: الركن السادس هو الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو

الركن الأخير من أركان الإيمان.

والقدر يعني: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في

المستقبل.

والقضاء يعني: إيجاد الله ﷻ للأشياء حسب علمه وإرادته.

فالقضاء والقدر شرعاً: «تقدير الله ﷻ الأشياء في القدم،

وعلمه ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وصفات مخصوصة،

وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها

لها».

فالإيمان بالقضاء والقدر يعني: «الإقرار والتصديق المتيقن

بعلم الله وقضائه وتدبيره للأمور كلّها خيرها وشرّها، وأنه ﷻ

الْمُتَحَكِّمُ بها وخالقها، وأنّ لكلّ إنسانٍ قَدَرًا مكتوبًا في اللّوح

المسطور قبل الخلق، وهذا بأمر الله وإرادته».

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (6194).

وقد دلَّ القرآن الكريم والسُّنة النبوية وإجماع المسلمين على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، فقال ﷺ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]. وقال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2].

وعن عليٍّ ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»⁽¹⁾.

قال الشيخ: بهذا ننتهي من الكلام عن أركان الإيمان ونكون قد أنهينا الحديث عن المحور الأول، وهو الإيمان، وننتقل إلى المحور الثاني الإسلام. فهل من أسئلة على هذا المحور.

وليد: ما هو تعريف الإسلام؟

الشيخ: الإسلام هو الانقياد التَّام لأوامر الله ﷻ في كلِّ ما جاء به الأمر في كتابه أو سنة نبيه ﷺ الثابتة، من أعمال ظاهرة وباطنة، ومن أعمال قلبية، كالإيمان، أو أعمال الجوارح، كالصَّلاة.

خليل: هل لك أن تحدثنا عن أركان الإسلام؟

الشيخ: نعم، للإسلام أركان، وهي ما جاء في حديث سؤال جبريل ؑ للنبي ﷺ عن الإسلام، فأجاب ﷺ بقوله: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ،

(1) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (2145).

وَتَوْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»⁽¹⁾.

وما روي عنه ﷺ أنه قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»⁽²⁾.

أمين: ما هو الركن الأول؟

الشيخ: الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

وهذا الركن مؤلف من أمرين: الشهادة لله بالوحدانية والإلهية، والشهادة لنبيه محمد ﷺ بالرسالة، ولا بد منهما، وكل عمل لا بد من أن يكون مستندًا إليهما.

ومعنى شهادة «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَنَّهُ ﷺ الْمُسْتَحَقُّ الْوَحِيدُ لِلْعِبَادَةِ وَهُوَ الْمَنْزُوعُ عَنِ الشَّرِيكِ، وَالْوَلَدِ، وَلَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مَلَكِهِ وَخَلْقِهِ أَحَدٌ، وَكُلُّ مَا يُعْبَدُ سِوَاهُ فَهُوَ بَاطِلٌ.

ومعنى شهادة «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»: الْاعْتِرَافُ وَالْإِقْرَارُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ مَبْعُوثٌ مِنَ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ بِالرَّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ الَّتِي أُوحِيَتْ إِلَيْهِ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَحْوِي

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، رقم (50) عن أبي هريرة ؓ. ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، رقم (8).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، رقم (8). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم (16).

شريعة ناسخة لباقي الشرائع التي نزلت في الكتب السماوية الأخرى، ومحمد ﷺ هو خاتم النبيين، ويجب الإيمان به ومحبته، وإن طاعته من طاعة الله ﷻ، وتصديقه ﷺ بكل ما أخبر به، وتعظيمه وتوقيره، واتباعه والاقتراء به ﷺ⁽¹⁾.

سعيد: شيخنا ما الركن الثاني من أركان الإسلام؟

الشيخ: الركن الثاني إقامة الصلاة، وإقامة الصلاة المفروضة هي أهم الأركان بعد الشهادتين، ويُطلق عليها عمود الدين. وتكون إقامة الصلاة بأداء الصلوات الخمس التي فرضت على المسلمين وهي، الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، مع الحرص على التزام شروطها، وأركانها، والمحافظة عليها بوقتها، والحرص على عدم تفويت سننها وآدابها، وحث الناس عليها وعلى التزامها. وسيأتي شرح بعض ما يتعلق بالصلاة في مجلس الفقه - إن شاء الله-.

خالد: فما الركن الثالث؟

الشيخ: الركن الثالث إيتاء الزكاة، والزكاة دفع مقدار من المال لمستحقه عبادة لله، وسيأتي تفصيل ذلك في المجلس الذي سنتكلم فيه عن الأحكام الفقهية.

ومن خلال تسمية هذه العبادة بالزكاة تظهر لنا ثمراتها الأساسية، فالزكاة تعني في اللغة النماء والزيادة والطهارة، لذا نجد الزكاة سبباً في الزيادة بالرزق والبركة فيه، وهي سبب أيضاً في طهارة النفس من الشح والبخل، وطهارة المجتمع من الأحقاد

(1) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 149-168. والصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ص 289-290.

ومن الطبقية المقيمة من خلال انتشار روح التكافل، والتعاطف، والتآلف، والتعاون بين المسلمين.

علي: ما الركن الرابع من أركان الإسلام؟

الشيخ: الركن الرابع صيام شهر رمضان، وشهر رمضان هو الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية القمرية.

وصومه: هو التعبد لله ﷻ في أيامه بترك الأكل والشرب والجماع، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وهذا الصيام له حكم كثيرة على رأسها أنه سبب في صحة الإنسان، وفي شعور المسلم مع الفقراء، وكذلك هو سبب في تقوية إرادة الإنسان، وصيام رمضان مظهر من مظاهر وحدة المسلمين إذ يصومون في وقت محدد ويفطرون في وقت محدد.

وسيأتي شرح بعض ما يتعلق بهذا الركن في مجلس الفقه -إن شاء الله-.

زيد: ما الركن الخامس سيدي؟

الشيخ: الركن الخامس الحج، والحج في اللغة القصد، وفي الشرع: قصد مكة للتعبد لله ﷻ بأداء المناسك.

وهو فرض على من استطاعه مرة واحدة في العمر، فمن لم يستطع أداء الحج فلا حج عليه.

وسيأتي شرح بعض ما يتعلق بالحج في مجلس الفقه -إن شاء الله-.

وبهذا ننهي مجلسنا الأول، لنلتقاكم الأسبوع القادم -إن شاء الله- في مجلسنا العلمي الثاني، الذي سنخصصه للكلام عن كتاب الله القرآن الكريم.

المجلس الثاني

مع القرآن الكريم

بدأ الشيخ مجلسه الثاني بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثمَّ بين لتلاميذه أنَّ مجلس اليوم سيكون حول القرآن الكريم...
وقدم لذلك بمقدمة سريعة لطيفة ثم حثَّ طلابه على السؤال...
قال خليل: شيخنا هل لك أن تفسر لنا شيئاً من القرآن الكريم،
تنشرح به صدورنا؟

الشيخ: على العين والرأس يا عزيزي، وهذا ما كنت سأفعله،
واخترت لكم بعض السور والمقاطع من الآيات، أراها مفيدة لكم،
عسى أن ينفعكم الله بها.

قال التلاميذ بلهفة: ما هي شيخنا؟

الشيخ: افتحوا أولاً مصاحفكم على أول سورة في القرآن الكريم.
فأول سورة نفسرها هي أول سورة في ترتيب المصحف...

فتح التلاميذ مصاحفهم على سورة الفاتحة وشرع الشيخ
بتفسيرها، فقال:

أولاً- سورة الفاتحة

من فضائلها:

أنها أعظم سورة في القرآن، فقد جاء عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله إنني كنت أصلي. فقال ﷺ: «ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، ثم قال: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمَنَّكَ سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال ﷺ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»⁽¹⁾.

مكتبة

t.me/soramnqraa

تفسير السورة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾.

معاني المفردات في السورة:

- الله: علم على المعبود بحق، لا يطلق على غيره ﷻ.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم (4474).

- الرَّحْمَنُ: اسم الله يدل على صفة الرحمة في الله ﷻ، ويعني صاحب الرحمة الكثيرة العظيمة.
- الرَّحِيمُ: اسم آخر لله يدل أيضاً على صفة الرحمة في الله، ويعني ذا الرحمة الدائمة المستمرة.
- الْحَمْدُ: الشكر مع الثناء، المقرونان بالمحبة.
- الرب: يطلق على عدة معانٍ، وهي: المالك، والمصلح، والمعبود، والسيد المطاع.
- الْعَالَمِينَ: جمع عالم، والعالم: هو ما ينطوي تحته مجموعة من المتشابهات والأجناس، مثل: الإنس والجن والملائكة والشياطين.
- مَالِكُ: المالك: صاحب الْمَلِك. وتقرأ أيضاً: مَلِك، والملك: ذو السلطان الأمر الناهي.
- يَوْمِ الدِّينِ: الدين هنا تعني: الجزاء والحساب، ويوم الدين: يوم القيامة الذي يحاسب فيه الخلق ويجازون على أعمالهم.
- نَعْبُدُ: نتوجه بالعبادة، والعبادة: الطاعة مع غاية التذلل لله والتعظيم والحب.
- نَسْتَعِينُ: نطلب العون.
- الهداية: الدلالة والإرشاد بلطف، اهدِنَا: أرشدنا وأدَمْ هدايتنا بلطف، وثبتنا.
- الصِّرَاطُ: الطريق.
- الْمُسْتَقِيمَ: الشيء الذي لا عوج فيه ولا انحراف.
- غَيْرِ: لفظ يستثنى به كـ «إِلَّا».
- الضلال: الانحراف والبعد عن الهدى المطلوب.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: البسملة آية من أول سورة الفاتحة، ونزلت مع أول كل سورة فصلاً لها عما سبقها ما عدا سورة التوبة. وتفسير البسملة: «أبتدئ قراءتي وعملي متبركاً باسم الله إله الكون المعبود بحق، ومستعيناً به ﷻ، فهو خير متبرك فيه وخير مستعان، لأنه عظيم الرحمة ودائمها».

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه المستحق للشكر الكامل والثناء والمدح التام، لكونه ﷻ رب كل شيء وخالقه ومالكه، وكذلك يعلمنا ﷻ في هذه الآية كيف نحمده ونشكره ونثني عليه.

وهو ﷻ مستحق لذلك لكونه المعبود بحق، ولأنه رب العالمين، أي: سيد ومدبر أمور ومربي ومصلح شؤون العالمين: أي الخلق جميعاً، من عالم الإنس، وعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وجميع عوالم المخلوقات.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: وهو ﷻ إضافة إلى كونه المعبود بحق وأنه سيد ومصلح ومربي العالمين هو ﷻ عظيم الرحمة فرحمته لا تحد بحد، وهو دائمها، فرحمته مستمرة لا تنقطع عن خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأساس معاملته وتربيته لخلقه تقوم على الرحمة سبحانه.

وإعادة الاسمين وتكريرهما بعد أن سبقا في البسملة: للتأكيد على سعة رحمة الله تعالى، وذكر الرحمة في البسملة دل على أن أساس رسالة محمد ﷺ هي الرحمة، وهنا دل على أن أساس تعامله ﷻ مع خلقه الرحمة.

﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾: حتى لا يغتر الخلق بهذه الرحمة جاءت الإشارة إلى يوم البعث والحساب والجزاء، فبعد أن بين ﷻ أنه رب العالمين وأنه يعامل خلقه ويربيهم وفق مبدأ الرحمة، يبين الله في هذه الآية أن من مقتضى رحمته أن يعود الخلق إليه بعد هذه الحياة الدنيا، ليجزي كل نفس بما عملت، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم ليُقرأ بطرق مختلفة مع بقاء القلب الرئيس للألفاظ والكلمات والجمل، وهذه الطرق عُرفت فيما بعد بالقراءات القرآنية، التي استقرت إلى أئمة عشرة، وسميت بالقراءات القرآنية.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: يقول العبد إليك وحدك يا رب نتوجه بالعبادة التي هي كل طاعة يتقرب بها، التي تصدر منا عن حب لك وتعظيم وتذلل، فلا نعبدُ أحداً سواك.

وكذلك يا رب نحن الضعفاء المحتاجون إليك وإلى عونك في كل صغيرة وكبيرة، ولا نطلب الحوائج والمعونة إلا منك، فلا معطي ولا معين حقيقة إلا أنت.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: بعد ذلك كله يحين وقت الطلب منه ﷻ، فالآيات تعلمنا كيف ندعو الله ونطلب منه، فبعد الثناء على الله يقدم الإنسان من العبادة ما يتوسل بها إلى الله ويظهر فقره واحتياجه لله ﷻ.

وأعظم طلبٍ يطلبه العبدُ من الله ﷻ أن يدلّه ويوفقه إلى الصراط المستقيم، الذي هو الإسلام وكل ما فيه سداد في حياة الإنسان.

فيرشدنا الله إلى دوام سؤاله الهداية والتوفيق إليها والثبات عليها، فقلوب العالمين متقلبة، فإن لم يثبتنا الله ﷻ ويهدنا إلى صراطه المستقيم نضل ونشقى.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: ويأتي بيان الصراط المستقيم ببيان مَنْ هم سالكوه، الذين يسرون عليه، وببيان ضدهم وهم مخالفوه والمنحرفون عنه. فالصراط المستقيم: هو الطريق والمنهج الذي يسير عليه عباد الله «الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ»، وهم الذين ذكرهم ﷻ في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وأعظم نعمة ينعمها الله على عبد أن يكون من المسلمين، وأن يسلك صراط المهتدين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ليهنأ في الدنيا بما تلذذوا به من نعمة الإيمان والعمل الصالح، وليكون رفيقاً لهم في الجنة يتنعم في خيراتها.

والذي يجانب ويبتعد ويترك هذا الصراط يستحق غضب الله ﷻ، فيكون من «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»، الذين تركوا ما أمروا به واقتحموا ما نهوا عنه عن علم بعد أن جاءتهم الآيات البينات فاستحقوا على ذلك غضب الله ﷻ، ذلك أن مَنْ يعلم ليس كمَنْ لا يعلم.

وكذلك من لا يسير عليه يضل ويشقى، ويكون من «الضَّالِّينَ» الذين انحرفوا عن الصراط، لا عن علم، ولكن عن جهل أو تضليل.

فلا يعذر من ضل عن علم، ولا يعذر من ضل عن جهل إذا كان قادراً على العلم ومعرفة الحق، وهو أمر يسره الله ﷻ لكل من أراد.

ثانيًا- من سورة الحجرات

قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَEُضُّكُمُ بَEُضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَشِيرٌ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [الآيات: 10-12].

هذه الآيات من سورة الحجرات، وهي سورة مدنية، أي نزلت بعد الهجرة، وهذه السورة تكلمت في مجموعة من الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يراعيها كل مسلم وركزت على ذلك بحيث وصفها بعض الأفاضل بسورة الأخلاق، ويلاحظ من يقرأ السورة كيف ربطت بين الأخلاق والإيمان والعقيدة.

معاني المفردات:

- إخوة: في الدين الإسلامي.
- واتقوا الله لعلكم ترحمون: خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.
- لا يسخر: السخرية: الازدراء والاحتقار.
- قَوْمٌ: هم الرجال دون النساء، فالقوم مختص بالرجال، لأنهم قوامون على النساء.

- ولا تلمزوا أنفسكم: لا يعب بعضكم بعضًا، ولا تعيبوا، فتُعابوا،
واللمز: الطعن والتنبيه إلى المعايب بقول أو إشارة باليد أو
العين أو نحوهما في وجوده.

- ولا تنابزوا بالألقاب: لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه نحو
يا فاسق يا جاهل، فإنَّ النبز مختص بلقب السوء عرفًا.

- الاسم الفسوق: الاسم والصيت المذكور في السخرية واللمز
والتنابز.

- الظن: التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.

- ولا تجسسوا: لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث
عنها. التجسس: البحث عن العورات والمعايب وكشف ما
ستره الناس.

- ولا يغتب: الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، وإن كان
العيب فيه.

التفسير الإجمالي:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

المؤمنون إخوة، تجمعهم رابطة الإيمان، ولا ينبغي أن تكون
بينهم عداوة ولا شحناء، ولا تباغض ولا تقاتل، قال المفسرون:
﴿إِنَّمَا﴾ للحصر، فكأنه يقول: لا ينبغي للمؤمنين إلا أن يكونوا إخوة.
وفي الآية إشارة إلى أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب،
بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام.

وعلى المؤمنين إذا وقع بينهم خلاف بين الإخوة من المسلمين أن يبادروا بالإصلاح بينهم، ولا يتركوا الفرقة تدبُّ، والبغضاء تعمل عملها.

وعليهم في صلحهم هذا أن يتقوا الله تعالى ويتجنبوا عقابه بإقامة العدل وعدم الميل إلى أي جانب، لتنالهم رحمة الله، ويسعدوا بجنته ومرضاته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

لما اقتضت الأخوة أن تحسن المعاملة بين الأخوين كان ما تقرر من إيجاب معاملة الإخوة بين المسلمين يقتضي حسن المعاملة بين أحادهم، فجاءت هذه الآيات منبهة على أمور من حسن المعاملة قد تقع الغفلة عن مراعاتها.

فتنادي الآية المؤمنين ليسمعوا ما سيأتي بعد النداء من أمر أو نهى من الله عظيم، فتقول: يا معشر المؤمنين، يا من اتصفتم بالإيمان، وصدّقتكم بكتاب الله وبرسوله، ننهاكم أن يهزأ جماعة من جماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون الشخص الذي يستهزأ به ويسخر منه خيرًا عند الله ﷻ من الساخر.

ثم جاء تخصيص النساء بالنهي فلا يسخر نساء من نساء، عسى أن تكون المحتقر منها خيرًا عند الله وأفضل من الساخرة.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، أي: ولا يعب بعضكم بعضاً، ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء، وإنما قال ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، لأنَّ المسلمين كأنهم نفس واحدة.

﴿يُثْسِ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾: بثس أن يسمي الإنسان فاسقاً بعد أن صار مؤمناً ففي الآية دلالة على أن التنازع فسق، والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح.

ومن لم يتب عن اللَّمَز والتنازع فأولئك البعداء عن الخير، هم الظالمون المتجاوزون لحدود الخلق والإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

ويعقب النداء بنداء آخر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، فيا أيها الذين آمنوا ابتعدوا أشد البعد عن التهم والتخوين وإساءة الظنِّ بالأهل والناس، وعبر بالكثير لاحتياط الإنسان في كل ظنٍّ ولا يسارع فيه، بل يتأمل ويتحقق.

فإنَّ في بعض الظنِّ إثماً وذنبا يستحق صاحبه العقوبة عليه.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: لا تبحثوا عن عورات المسلمين ولا تتبعوا معائبهم.

﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته بما يكرهه.

﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: هذا تمثيلٌ لشناعة الغيبة وقبحها بما لا مزيد عليه من التقبيح، أي: هل يحب الواحد منكم أن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت؟

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فكما تكرهون هذا طبعًا فاكروهوا الغيبة شرعًا، فإن عقوبتها أشدُّ من هذا. فشبهه تعالى الغيبة بأكل لحم الأخ حال كونه ميتًا، وإذا كان الإنسان يكره لحم الإنسان فضلًا عن كونه أخًا، وفضلًا عن كونه ميتًا، فوجب عليه أن يكره الغيبة بمثل هذه الكراهة أو أشد.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا الله واحذروا عقابه، بامتنال أوامره واجتناب نواهيه. ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ إنه تعالى كثير التوبة، عظيم الرحمة، لمن اتقى الله وتاب وأناب، وفيه حثٌّ على التوبة، وترغيبٌ في المسارعة إلى الندم والاعتراف بالخطأ لئلا يقنط الإنسان من رحمة الله ﷻ.

ثالثًا- سورة الضحى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وَالضُّحَى ①
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا
فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪ ﴿

معاني المفردات:

- الضحى: أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال.
- سجي: سجي الليل: اشتد ظلامه، غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة.
- ودعك: تركك وتخلي عنك.
- قلى: أبغض. قال الراغب: القلي: شدة البغض يقال: قلاه ويقليه، أي: أبغضه.
- يتيمًا: فاقد الأب، إذ مات والده ﷺ قبل ولادته.
- فأوى: فأواك، آوى: ضمّه إلى من يرعاه، بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.
- ضالًّا: لا تعرف دينًا ولا هدى.
- عائلًا: فقيرًا معدمًا، وهو من اشتد به الفقر.

- فأغنى: بالقناعة، وبما يسر لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.
- تقهر: تذلل وتحتقر وتأخذ ماله.
- تنهر: تزجر وتغلظ عليه في الكلام.
- بنعمة ربك: ما أنعم الله تعالى به عليك من نعم الدنيا، أو الدين والإسلام.

سَبَبُ التُّزُولِ:

مرض رسول الله ﷺ فلم يقيم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة، وهي أم جميل امرأة أبي لهب، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك! لم أراه قربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝﴾.

التفسير الإجمالي:

﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾: أقسم تعالى بوقت الضحى، وهو أول النهار حين ترتفع الشمس، وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه، وغطى كل شيء في الوجود.

والقسم يستعمل لتأكيد الخبر ردّاً على زعم المشركين أنّ الوحي انقطع عن النبي ﷺ حين رأوه لم يبق الليل بالقرآن بضع ليال. فالتأكيد منصب على إبطال دعوى المشركين. وأما رسول الله ﷺ فلا يتردد في وقوع ما يخبره الله بوقوعه.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾: جواب القسم، أي المقسم عليه. أي: ما تركك ربك يا محمد ﷺ منذ اختارك نبياً، ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا ردٌّ على المشركين حين قالوا: هجره ربه.

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾: وللدارُ الآخرة خيرٌ لك يا محمد من هذه الحياة الدنيا، لأنَّ الآخرة باقية، والدنيا فانية.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾: سوف يعطيك ربك في الدنيا والآخرة إلى أن تَرْضَى، وقد أعطاه الله تعالى في الدنيا النصر والظفر على الأعداء، وكثرة الأتباع والفتوح، وأعلى دينه، وجعل أمته خير الأمم، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة، والمقام المحمود، وغير ذلك من خيرَي الدنيا والآخرة.

ثم لما وعده بهذا الوعد الجليل، ذكَّره بنعمه عليه في حال صغره ليشكر ربه، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾: ألم تكن يا محمد يتيماً في صغرك، فأواك الله إلى عمك أبي طالب وضمَّك إليه؟

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾: ووجدك تائهاً عن معرفة الشريعة والدين فهداك إليها، كقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52].

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾: ووجدك فقيراً محتاجاً فأغناك عن الخلق، بما يسرُّ لك من أسباب التجارة.

ولمَّا عدَّد عليه هذه النعم الثلاث، وصَّاه بثلاث وصايا مقابلها، فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: فأما اليتيم فلا تحتقره ولا تغلبه على ماله ولا تظلمه، والمراد كن لليتيم كالأب الرحيم، فقد كنت يتيماً فأواك الله.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: وأمَّا السائل المستجدي الذي يسأل عن حاجة وفقر، فلا تزجره إذا سألَكَ ولا تُغلظ له القول، بل أعطه أو رده ردًّا جميلاً.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: حَدَّثِ النَّاسَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ، فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِالنِّعْمَةِ شُكْرٌ لَهَا، فَتَقُولُ: "كُنْتُ يَتِيمًا وَضَالًّا وَعَائِلًا، فَأَوَّاكَ اللَّهُ وَهَدَاكَ وَأَغْنَاكَ، فَلَا تَنْسُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ ذُقْتَ الْيَتَمَ وَالْفَقْرَ، وَأُرْشِدُ الْعِبَادَ إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ، كَمَا هَدَاكَ رَبُّكَ".
وَقِيلَ مَعْنَى الْآيَةِ: وَحَدَّثِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةِ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَهِيَ هَذَا الدِّينَ وَهَذَا الْقُرْآنَ.

رابعًا- سورة الزلزلة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❶ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ❷ وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ❸ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ❹ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ❺
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ❻ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ❼ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ❽ ﴿٨﴾

معاني المفردات:

- زُلْزِلَتِ الأرض: حُرِكت تحريكًا شديدًا حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها، لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو انزلاق الرجلين.
- أثقالها: الأثقال: جمع ثقل وهو الشيء والمتاع الثقيل، ويُطلق على المتاع النفيس.
- مالها: قال الكافر مالها، أي: ما الشيء الذي جعلها تتحرك هذه الحركة؟
- تَخَدَّثُ أخبارها: تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.
- يصدر: ينصرف ويخرج، والصدور ضد الورد، فالوارد الآتي، والصادر المنصرف.
- أَشْتَاتًا: جمع شَت وهو المتفرق، يقال: ذهبوا أَشْتَاتًا أي: متفرقين.
- ليروا أعمالهم: أي: جزاء أعمالهم، إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار.

- مثقال ذرة: زنة نملة صغيرة، فالذرة: النملة الصغيرة في ابتداء حياتها.

التفسير الإجمالي:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: إذا حركت الأرض تحريكًا عنيفًا، واضطربت اضطرابًا شديدًا، واهتزت بمن عليها اهتزازًا يقطع القلوب ويُفزع الألباب، كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1]، وذلك عند قيام الساعة تتزلزل وتتحرك تحريكًا متتابعًا، وتضطرب بمن عليها، ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وقلاع.

﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الكنوز والموتى.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾: وقال الناس ما لها، أي الناس الذين هم أحياء ففزعوا، وقال بعضهم لبعض، أو قال كل أحد في نفسه حتى استوى في ذلك الجبان والشجاع، والطائش والحكيم، لأنه زلزال تجاوز الحد الذي يصبر على مثله الصبور.

قالوا ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة، ولفظت ما في بطنها؟! يقول ذلك دهشة وتعجبًا من تلك الحالة الفظيعة.

﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: في ذلك اليوم العصيب يوم القيامة تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير أو شر، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها.

﴿يَا أَيُّهَا رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: وذلك الإخبار بسبب أن الله ﷻ أمرها بذلك، وأذن لها أن تنطق بكل ما حدث وجرى عليها، فهي تشكو

العاصي وتشهد عليه، وتشكر المطيع وتثني عليه، والله على كل شيء قدير.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: في ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب، وينصرفون متفرقين فرقًا فرقًا، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار.

﴿لَيَرَوُا أَعْمَالَهُمْ﴾: وأشير إلى أن تفرقهم على حسب تناسب كل جماعة في أعمالها من مراتب الخير ومنازل الشر بقوله: ليروا أعمالهم، أي يصدرون لأجل تلقي جزاء الأعمال التي عملوها في الحياة الدنيا فيقال لكل جماعة: انظروا أعمالكم، أو انظروا مآلكم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾: فمن يفعل من الخير زنة ذرة، يجده في صحيفته يوم القيامة ويلق جزاءه عليه.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾: ومن يفعل من الشر زنة ذرة، يجده كذلك ويلق جزاءه عليه. وهذا مثل ضربه الله تعالى في أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40].

خامسًا- سورة العصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣.

سورة العصر هي إحدى سور ثلاث هُنَّ أَقْصَرُ السُّورِ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الْآيَاتِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ هِيَ: سُورَةُ الْعَصْرِ، وَسُورَةُ الْكَوْثَرِ، وَسُورَةُ النَّصْرِ.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ اتَّخَذُوا هَذِهِ السُّورَةَ شِعَارًا لَهُمْ فِي مُلْتَقَاهُمْ، رَوَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ سُورَةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ».

وَلِمَكَانَةِ هَذِهِ السُّورَةِ وَمَا حَوَتْهُ مِنْ مَعَانِي قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيهَا: «لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسَّعَتْهُمْ».

معاني المفردات:

- العصر: الدهر كله.
- الإنسان: جنس الإنسان كله.
- الخسر: ضِدُّ الرِّبْحِ فِي التِّجَارَةِ، وَاسْتَعْمَلَ هُنَا بِمَعْنَى سُوءِ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ يَظُنُّ لِنَفْسِهِ عَاقِبَةً حَسَنَةً، وَتِلْكَ هِيَ الْعَاقِبَةُ الدَّائِمَةُ وَهِيَ عَاقِبَةُ الْإِنْسَانِ فِي آخِرَتِهِ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ.
- وتواصوا: وَصَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
- الحقُّ: الْأَمْرُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى إنْكَارِهِ وَلَا زَوَالٍ فِي الدَّارَيْنِ لِمَحَاسِنِ آثَارِهِ، وَهُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وَاتِّبَاعِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- فِي كُلِّ عَقْدٍ وَعَمَلٍ.
- بالصبر: حَبَسَ النَّفْسَ عَلَى أَمْرٍ مُعَيَّنٍ.

التفسير الإجمالي:

﴿وَالْعَصْرِ﴾: أقسم الله تعالى بالعصر قسمًا يراد به تأكيد الخبر، كما هو شأن أقسام القرآن.

ويقسم الله بالعصر، وهو الزمان.

وقد ذكر أهل التفسير في تحديد كلمة العصر أقوالاً منها: أنها صلاة العصر، لأنها الصلاة الوسطى، ومنها عصر النبي ﷺ وما أوردناه أعم وأولى.

فتفسير الآية: أَنَّ الله ﷻ يقسم بالزمان الذي هو الظفر الذي يقع فيه اختبار الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ويترتب على ذلك الاختبار الخسران والنجاح في الآخرة، والعصر أيضًا مظهر من مظاهر بديع التكوين الربّاني الدالّ على عظيم قدرته ﷻ وسعة علمه.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾: جواب القسم (مقسم عليه)، أي: إِنَّ جنس الإنسان لفي خسرٍ محقق وكبير ومتنوع في كل جانب، فالإنسان يعيش في دائرة الخسران وعاقبته ستكون إلى خسران وعدم فوز، إذا أغفل دوره الذي أنيط به ليقوم به داخل الظرف الزماني الذي وُجد فيه.

وهذا الخسر متفاوت فأعظمه الخسر القادم عن انتفاء الإيمان بوحداية الله وصدق الرسول ﷺ، ودون ذلك تكون مراتب الخسر متفاوتة بحسب كثرة الأعمال السيئة ظاهرها وباطنها. وما حدده الإسلام لذلك من مراتب الأعمال وغفران بعض اللوم إذا ترك صاحبه الكبائر والفواحش.

وهذا الخبر مراد به الحصول في المستقبل بقريئة مقام الإنذار والوعيد، أي لفي خسر في الحياة الأبدية الآخرة فلا التفات إلى أحوال الناس في الحياة الدنيا.

ثم يأتي الاستثناء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ليتقرر الحُكم تمامًا في نفس السَّامع مبيِّنًا أَنَّ النَّاسَ فريقان: فريقٌ يلحقه الخسران، وفريقٌ لا يلحقه شيءٌ منه، وهم الَّذِينَ آمَنُوا إذا لم يتركوا شيئًا من الصَّالحات ولم يرتكبوا أضرارها وهي السَّيِّئات.

والإيمان هنا المراد به: الإيمان الحقيقي الكامل الذي يرافقه عمل الأعمال الصَّالحات التي هي وفق منهج الله وفي دائرة الدور الذي خلق لأجله الإنسان، وفي كل مجالات الحياة.

ومن أكبر الأعمال الصَّالحات التَّوْبَةُ من الذُّنوب لهذا الإنسان الخطاء، فمن تحقَّق فيه وصف الإيمان ولم يعمل السَّيِّئات أو عملها وتاب منها، فقد تحقَّق له ضدُّ الخسران وهو الرِّبْح المجازي، أي: حسنت عاقبة أمره، وأمَّا من لم يعمل الصَّالحات ولم يتب من سيِّئاته فقد تحقَّق فيه حكم المستثنى منه وهو الخسران.

وإذا آمن الإنسان وعمل صالحًا فقد أخذ نفسه في مراقي الكمال الذاتي، وهذا لا يعني أن يترك غيره من الدعوة والنصح، بل عليه أن يسعى لتكميل غيره وتثبيته على الحق، لذا قال ﷺ في وصف الناجين من الخسران: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: وصَّى بعضهم بعضًا بالحث الذي هو الأمر الثَّابت الَّذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدَّارين لمحاسن آثاره، وهو الخير كُلُّه من الإيمان بالله ﷻ واتِّباع كتبه ورسله -عليهم السَّلام- في كلِّ عقدٍ وعملٍ.

والتَّوَّاصِي بِالْحَقِّ: يشمل تعليم حقائق الإسلام وشريعته وعقائده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعد التواصي بالحق يأتي: ﴿وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ﴾، فيتواصوا بحبس أنفسهم والثبات على هذا الحق وألا يخالفوه، وما ذلك إلا لما في إقامة الحق من مشقة، وما يعترض المسلم من أذى في نفسه عند إقامته لبعض الحق.

سادسًا- سورة الفيل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ
سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤ ﴿٥﴾

معاني المفردات:

- أصحاب الفيل: أبرهة الأشرم وجنوده وفيلته.
- الكيد: الاحتيال على إلحاق ضرر بالغير ومعالجة إيقاعه.
- تضليل: التضليل جعل الغير ضالاً، أي لا يهتدي لمراده، وهو هنا بمعنى الإبطال وعدم نوال المقصود، لأنّ ضلال الطريق عدم وصول السائر.
- أبابيل: جماعات جماعات.
- سجيل: طين مطبوخ.
- كعصف: مثل ورق الزرع، وهو جمع عصفه.

التفسير الإجمالي:

هذه السورة خمس آيات، تضمنت الحديث عن حادث جمل وقع قبل ولادة النبي ﷺ، وحكايته ستمر بنا في مجلس السيرة النبوية. والهدف من ذكر حادثة الفيل هنا تذكير النبي ﷺ وهو يواجه كفار قريش بفعل الله ﷻ بإهلاك غيرهم من الجبابرة، فالذي أهلك

أبرهة الأشرم وجنوده وفيلته قادر على أن يبطش بكفار قريش في أي لحظة، فلا تقم لهم ولا لكيدهم وزناً يا محمد فإن لهم موعداً لن يخلفوه أبداً.

تبدأ السورة بخطاب سيد المرسلين ﷺ بأسلوب الاستفهام ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ومعنى هذا الاستفهام التعجب، أي: ألم تعلم يا محمد أو ألم يأتك خبر الحالة العجيبة والعقوبة الشنيعة التي فعلها الله ﷻ بأصحاب الفيل، أبرهة وجيشه الذين اصطحبوا الفيلة، لهدم الكعبة.

هذه الفعلة الدالة على عظم قدرة الله تعالى، وكمال علمه وحكمته.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: ألم يُصير الله ﷻ مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة واستباحة أهلها في تضليل عما قصدوا إليه حتى لم يصلوا إلى البيت، ولا إلى ما أرادوه بكيدهم من المضرة بقريش بالقتل والسبي، وبالبيت الحرام بالتخريب.

فالله أبطل كيدهم إبطالاً شديداً، إذ لم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: وكانت عقوبتهم على محاولتهم القبيحة أن بعث الله عليهم جماعات متفرقة من الطير الصغيرة الحجم، على شكل أسراب يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى.

﴿ثَرَمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾: وهذه الأسراب من الطير رمت أبرهة وجيشه بحجارة من سجيل، أي: من طين متحجر، حجارة خلقت لعذابهم.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلَ﴾: فصيرهم الله كأنهم عصف، أي تبين أو ورق شجر أو زرع، وقع فيه الأكال، وهو أن يأكله الدود، أو أكل حبه فبقي صفرًا منه.

وقيل المعنى: صيرهم كتبن أو ورق شجر أو زرع أكلته الدواب وراثته، والمراد: صيرهم كروث، فجاء على الآداب القرآنية فشبه تقطع أوصالهم بتفريق أجزاء الروث، ففيه إظهار تشويه حالهم. اللهم إنا نعوذ بك من سوء الخاتمة.

سابقاً- سورة المسد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②
سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴿٥﴾.

سبب نزولها: ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: (صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى: «يَا صَبَاحَاهُ»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «إِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُمْسِيكُمْ أَوْ مُصَبِّحُكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي»، فقال أبو لهب: أَلَهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] (١).

معاني المفردات:

- التَّبُّ: المادة اللغوية للتباب تدور على القطع، وهو مؤدٌ إلى الهلاك والخسران.
- ما كسب: ما جمعه من المال وما أنجبه من الولد وغيره.
- سيصلى: الصلي: الشوي بالنار.
- الجيد: العنق، وغلب في الاستعمال على عنق المرأة وعلى محل القلادة منه.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب، رقم (4971). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (208).

- المسد: ما مُسد، أي: قُتل من الحبال فتلاً شديداً من الليف أو غيره.

التفسير الإجمالي:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾: الآية تتوعد أبا لهب بالتباب، أي: بالهلاك والخسران، على مواقفه السلبية والمناوئة لرسول الله ﷺ، التي تمثلت بصدده عن الدعوة وأذية النبي ﷺ مادياً ومعنوياً، وتؤكد ذلك بإعادة فعل التباب مرة أخرى.

وأبو لهب أحد عمومة النبي ﷺ، واسمه عبد العزى، وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأذية له وبغضاً له وازدراءً به وتنقصاً له ولدعوته، ومات على كفره بعد وقعة بدر، ولم يحضرها.

وقد اشتهر بكنيته، وعُرف بها، إما لولد له يقال له: لهب، وإما لتلهب وجنتيه وإشراقهما.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾: انتقلت الآيات من إنشاء الوعيد بالهلاك والخسران إلى الإعلام بأنَّ أبا لهب آيس من النجاة من هذا التَّبات، وأنه لا يغني عنه ماله الذي جمعه، ولا جاهه وعزه الذي اكتسبه ولا أولاده في دفع شيء من عذاب الله ﷻ عنه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم أوعد الله ﷻ أبا لهب بالنَّار، فقال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي: ناراً تلهب عليه، وافقت كنيته. ﴿نَارًا﴾: ناراً عظيمة. ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾: متصفة بالاشتعال والتوقد، وهي نار الآخرة، جزاء ما كان يأتيه من مقاومة الحق ومجاهدته.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: أعقب ذمَّ أبي لهبٍ ووعيده له بمثل ذلك لامرأته، لأنها كانت تشاركه في أذى النبي ﷺ وتعينه عليه. أي: وستصلي امرأته معه النار ذات اللهب، ومعنى «امرأته»: زوجه. وكانت زوجته من سيدات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، وإيذائه للنبي ﷺ.

وإنما وصفت بأنها ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، لأنها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك، فتنتثرها بالليل في طريق النبي ﷺ لإيذائه. وقيل: لأنها كانت تحطب الكلام، بمعنى أنها كانت تمشي بالنميمة. فشبهوا النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. فكانت امرأته تنمُّ على النبي ﷺ وأصحابه إلى المشركين.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: إخبارٌ بما ستعامل به زوجة أبي لهب في الآخرة، حيثُ سيُجعل لها حبلٌ من مَسَدٍ في جيدها، في عنقها، تحمل فيه الحطب في جهنم لتسعير النار على زوجها جزاءً مماثلاً لعملها في الدنيا الذي أغضب الله تعالى عليها.

وهذه السورة أوضح الأدلة على صدق القرآن الكريم، وأنه من عند الله، فقد علم أبو لهب وامرأته أنهما سيصليان ناراً ذات لهب، ومع ذلك فقد بقيا على كفرهما.

ثامناً - سورة الإخلاص

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ④

سبب نزولها ما جاء عن أبي بن كعب ؓ (أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: «انسب لنا ربك»، فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها) (1).

الأحاديث في فضائلها:

منها:

عن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبها» (2).

وعن أبي سعيد ؓ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكان

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (3364)، ج 35 ص 243-44، وقال محققوه: إسناده ضعيف. والترمذي، الجامع، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الإخلاص، رقم (3364)، وقال الأرئوط: إسناده ضعيف. والحاكم، المستدرک، رقم (4031)، ج 4 ص 719. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه. وقال محققوه: والإسناد إليه حسن إن شاء الله.

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، رقم (6940). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (813).

الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدُلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ» (1).

وعن عائشة -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمَسُّحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (2).

هذه بعض الأحاديث التي وردت في فضل سورة الإخلاص.

معاني المفردات:

- أَحَدٌ: اسمٌ بمعنى «واحد». ومألُ الوصفين إلى معنى نفى الشريك له تعالى في الهيئته.
- الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج. فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام.
- كُفُوءًا: معناه: المساوي والمماثل في الصفات.
- أَحَدٌ: هُنا بمعنى إنسانٍ أو موجودٍ.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم (4726).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، رقم (4729).

ضمنت السورة أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: قل يا محمد لهؤلاء المشركين في وصف ربك الذي تعبده، الذي تدعوهم لعبادته، أنه هو الواحد الأحد الذي لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، المتفرد بالألوهية، المستحق وحده العبادة، لا شريك له في ذلك، كما لم يشاركه أحد في خلق الخلق.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: وبما أنه المنفرد بالألوهية، فالأصل أنه السَّيِّدُ الذي ينتهي إليه السؤدد، الَّذِي لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ فِي الْمُهَمَّاتِ، الَّذِي يَصْمَدُ إِلَيْهِ عِبَادُهُ بِالْدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، أَي: يقصدونه، وهو القادر على إجابتها وتلبيتها لهم.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: بعد أن أبطلت الآية الأولى من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال، أبطلت هذه الآية تعدد الإله بطريق تولد إله عن إله، لأنَّ الْمُتَوَلَّدَ مُسَاوٍ لِمَا تَوَلَّدَ عَنْهُ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: لم يتخذ ولدًا، وليس له أبناء وبنات، فكما هو متصف بالكمالات، فإنه منزّه عن النقائص، ففي الآية رد على كل من جعل لله ولدًا. كاليهود في قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، والنصارى في قولهم: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، ومشركي العرب في زعمهم الكاذب أنَّ الملائكة بنات الله، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57]، فرد الله تعالى على الجميع، في أنه ليس له ولد، لأنَّ الولد

لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى أزلي قديم، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأنَّ الولد لا يكون إلا لمن له زوجة، والله تعالى ليس له زوجة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101].

ثم قال: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، أي: ولم يولد من أب ولا أم، لأنَّ كل مولود حادث، والله تعالى أزلي، فلا يصح أن يكون مولودًا ولا أن يكون له والد، وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لا ابتداء لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: لم يوجد ولن يوجد أحدٌ أيًا كان كفوًا له أو يماثله أو يشاكله، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

تاسعًا- سُورَةُ الْفَلَقِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ .

جاء في فضلها مع سورة الناس وسورة الإخلاص:

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» ⁽¹⁾.

وعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفِّهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ⁽²⁾.

معاني المفردات:

- أعوذ: أستجير وأتحصن، ألتجئ وأعتصم وأتحرز.
- ربُّ: الرب هو: المالك السيد المربي المصلح.
- الفلق: الصبح أو الخلق.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، رقم (814).

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، رقم (3402)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

- من شر ما خلق: من شر كل حيوان وجماد.
- غاسق: الغاسقُ اللَّيْلُ، وصفُ اللَّيْلِ إذا اشتدَّت ظلمتُه، يُقال: غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ، إذا أَظْلَم.
- إذا وقب: دخل بظلامه، والوقوب: الدخول.
- النفث: نفخٌ مع تحريك اللِّسان دُون إخراج ريقٍ، فهو أَقْلٌ من التُّفل، يفعلُه السَّحرةُ إذا وضعُوا علاج سحرهم في شيءٍ وعقدُوا عليه عُقدًا ثُمَّ نفثُوا عليها.
- النفاثات: الساحرات، أو النفوس التي تنفث على العقد في عملية السحر.
- العُقْدُ: جمعُ عُقْدَةٍ، وهي ربطٌ في خيطٍ أو وترٍ يزعمُ السَّحرةُ أَنَّهُ سحرُ المسحُور يستمرُّ ما دامت تلك العُقْدَةُ معقُودَةً، ولذلك يخافون من حلِّها فيدفنونها أو يُخبئونها في محلٍّ لا يُهتدى إليه.
- الحسد: إحساسُ نفسانيٍّ مُرْكَبٌ من استحسانِ نعمةٍ في الغير مع تمنِّي زوالها عنه، لأجلِ غيرَةٍ على اختصاص الغير بتلك الحالة أو على مُشاركته الحاسد فيها. وقد يُطلق اسمُ الحسد على الغبطة مجازًا. والغبطة: تمنِّي المرء أن يكونَ له من الخير مثلُ ما لمن يروُق حالُه في نظره.

التفسير الإجمالي:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: قل يا محمد ألتجئ وأعتصم بربِّ الصبح الذي ينفلق عنه الليل، وينجلي عنه الظلام، قال المفسرون: سبب تخصيص الصبح بالتعوذ أن انبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة، فكما أنَّ الإنسان يكون منتظرًا لطلوع الصباح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاة.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: واستعاذ واستجار من شرِّ جميع الذين خلقهم الله من الثَّقَلين وغيرهم، والله ﷻ خالق كل شيء، فالاستعاذة من شر الخلق أجمعين.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: وبعد الاستعاذة من شر جميع الخلق عطف شرَّ أشياء خاصَّة، وهي ثلاثة أنواع من أنواع الشرور: أحدهما: وقت يغلبُ وَقُوعُ الشرِّ فيه، وهو اللَّيْلُ. والثَّاني: صنفٌ من النَّاسِ أُقيمت صناعتُهُم على إرادة الشرِّ بالغير.

والثَّالثُ: صنفٌ من النَّاسِ ذُو خُلُقٍ من شأنه أن يبعث على إلحاق الأذى بمن تعلق به.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: وأستعيذ من شر الليل إذ أظلم واشتد ظلامه، فإن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولهذا قالوا في المثل «الليل أخفى للويل».

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: ثم استعاذ من شرِّ السحرة والسواحر اللواتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن، أي: ينفخن، فيها ليضروا عباد الله بسحرهن، ويفرقوا بين الرجل وزوجه.

وجيء بصفة المؤنث بـ «النَّفَّاثَاتِ»، لأنَّ المقصود النفوس السواحر، أو لأنَّ الغالب عند العرب أن من يقوم بالسحر هم النساء.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: أستعيذ من شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له.

﴿إِذَا حَسَدَ﴾: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مُقدِّمات الشرِّ ومبادي الإضرار بالمحسود قولاً وفعلًا.

عاشراً- سُورَةُ النَّاسِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③
مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴿﴾

معاني المفردات:

- أعوذ: أتحصن وأستجير.
- النَّاس اسمُ جمعٍ للبشر جميعهم أو طائفةٍ منهم ولا يُطلق على غيرهم على التَّحْقِيق.
- رب الناس: خالقهم ومالكهم.
- ملك الناس: سيد الناس وملكهم وحاكمهم.
- إله الناس: معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه.
- الوسواس: الشيطان الموسوس، مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي وحديث النفس.
- الخناس: الذي يخنس أي: يتوارى ويختفي ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى. والخنوس: التأخر.
- في صدور الناس: في قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله تعالى.
- الْجِنَّة: اسمُ جمعٍ لجنِّيٍّ، فالجنِّيُّ الواحدُ من نوع الجنِّ، كما يُقالُ: إنسيٌّ للواحد من الإنس.
- من الجنة والناس: من شيطان الجن ومن شيطان الإنس.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: شابهت فاتحتها فاتحة سورة الفلق إلا أن سورة الفلق تعوذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس، وسورة الناس تعوذ من شرور مخلوقات خفية وهي الشياطين.

وربُّ النَّاسِ: بخالق الناس، ومربيهم، ومدبر شؤونهم، الذي أحياهم وأوجدهم من العدم، وأنعم عليهم بأنواع النعم.

وإنما خص النَّاس بالذكر - وإن كان جلت عظمتة رب جميع الخلائق - تعريفاً وتكريماً لهم، من حيث إنه تعالى سخر لهم ما في الكون، وأمدهم بالعقل والعلم، وأسجد لهم ملائكة قدسه، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: وقد رُتبت أوصافُ الله ﷻ بالنسبة إلى النَّاس ترتيباً مُدرجاً، فإنَّ الله خالقهم، ثُمَّ هُم غيرُ خارجين عن حكمه إذا شاء أن يتصرَّف في شؤونهم، ثُمَّ زيد بياناً بوصف إلهيته لهم ليتبين أنَّ ربوبيَّته لهم وحاكميَّته فيهم ليست كُربوبيَّة بعضهم بعضاً وحاكميَّة بعضهم في بعض.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: جاء هذا الوصف لبيان أنَّ مُلكه تعالى ليس بمُجرَّد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أُمور سياستهم والتَّولَّى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم، كما هو قُصارى أمر المُلوك، بل هو بطريق المعبوديَّة المؤسَّسة على الألوهيَّة المُقتضية للقدرة التَّامة على التَّصرُّف الكلِّي فيهم، إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً.

وكرر لفظ الناس ثلاثاً ولم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: ثم بين المستعاذ منه، وهو شر الشيطان الذي يلقي حديث السوء في النفس، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان.

وصفة هذا الشيطان أنه من عادته أن يختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه، فإذا غفل عن الله ﷻ، عاد فوسوس له.

﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: أي: الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر، صنوف الوسواس والأوهام، ووسوسته هي الدعاء لطاعته بكلام خفي، يصل مفهومه إلى القلب، من غير سماع صوت. فمحل تلك الوسوسة هي صدور الناس، ثم هناك من يستجيب لها وهناك من يعارضها فلا تضره.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: بيّنت الذي يُوسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ بأنه صنفان: صنف من الجنّ، وهو أصله، وصنف من النَّاسِ، وما هو إلا تبعٌ ووليٌّ للصَّنْفِ الأوّل.

فآلية استعاذة من شر الإنس والجن جميعاً، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكاً وخطرًا من شياطين الجن، فإنّ شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزين لصاحبه الفواحش، ويغريه بالمنكرات، ولا يثنيه عن عزمه شيء، والمعصوم من عصمه الله.

وقُدِّمت (الجنّة) على (النَّاسِ) هنا لأنّ الجنّ أصلُ الوسواس. والله يكفينّا شرَّ الفريقين، وينفعنا بصلاح الثّقليّن.

المجلس الثالث

مع الحديث النبوي الشريف

في مجلسه الثالث بدأ الشيخ كعادته بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم بين لهم أنَّ الحديث يطيب بعد أن كان في المجلس الثاني عن القرآن الكريم أن يكون عن الحديث النبوي والسنة المطهرة.

وأخبر طلابه أنه اختار لهم مجموعة من الأحاديث المهمة التي ينبغي أن يعرفها ويحفظها من هو في سنهم...
ثم شرع في استعراض هذه الأحاديث.

الحديث الأول

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ
هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ

هَجَرْتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهَا، فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

هو أمير المؤمنين، أبو حفص⁽²⁾ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، القرشي العدوي، الفاروق رضي الله عنه، الخليفة الراشد الثاني، وُلد رضي الله عنه قبل البعثة النبوية الشريفة بثلاثين عامًا، أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات، شهد الوقائع والغزوات كلها مع النبي ﷺ. وقد ولاه أبو بكر رضي الله عنه القضاء، فكان أول قاضٍ في الإسلام، بُويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه، وبعهد منه، بعد استشارة الناس فيه، فوافقوه، وذلك سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وكان رضي الله عنه أول من لُقِّب بأمير المؤمنين، كانت خلافته رضي الله عنه عشرة أعوام مليئة بالرحمة والعدل والفتوحات. استشهد في أواخر ذي الحجة سنة 23هـ، إذ قام أبو لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة بن شعبه بطعنه وهو يؤم الناس في صلاة الفجر، ودفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في الحجرة الشريفة⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (1)، وفي غير هذا الموطن. ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، رقم (1907). والترمذي، الجامع، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، رقم (1647). والنسائي، السنن، كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء، رقم (75). وأبو داود، السنن، كتاب الطلاق، باب فيما غني به الطلاق والنِّيَّاتُ، رقم (2201).

(2) الحفص: الأسد، وأبو حفص: كنية لعمر رضي الله عنه.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج راشدون ص71.

مفردات الحديث:

- إنَّمَا: أداة حصر.
- الأعمال: الأعمال الشرعية.
- بالنيات: جمع نية: وهي في اللغة القصد وفي الاصطلاح على معنيين:
- 1 - أن يكون المراد بها مقصود الناوي، هل يبتغي بعمله وجه الله أو مصلحة دنيوية، وهي النية التي يهتم بها علماء التزكية.
- 2 - أو يراد منها النية التي لتعيين وتمييز العمل، مثل النية التي تميز في الصلاة الفرض عن السنة، وفي الصيام هل هو نفل أو قضاء أو غير ذلك، وهي النية التي يهتم بها علماء الفقه.
- امرئ: إنسان، ذكرًا كان أو أنثى.
- الهجرة: في اللغة: الترك. وفي الشرع: مفارقة بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام خشية الفتنة.
- ويراد بها في الحديث: الانتقال من مكة وغيرها إلى المدينة المنورة وذلك قبل فتح مكة.
- إلى الله ورسوله: كانت نيته ابتغاء رضوان الله وإطاعة لأمر رسوله ﷺ لما أمرهم بالهجرة.
- لدنيا يصيبها: تكون نيته لمصلحة دنيوية.
- ينكحها: يتزوجها.

المعنى الإجمالي للحديث:

في هذا الحديث يُبَيَّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ كُلَّ الْأَعْمَالِ مَعْتَبَرَةٌ بِالنِّيَّةِ، وَهَذَا الْحُكْمُ عَامٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ، فَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ مَنَفْعَةً مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا لَمْ يَنْلُ إِلَّا تِلْكَ الْمَنَفْعَةَ وَلَا ثَوَابَ لَهُ، وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نَالَ مِنْ عَمَلِهِ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ وَلَوْ كَانَ عَمَلًا عَادِيًّا، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

ثُمَّ ضَرَبَ ﷺ مَثَلًا لِبَيَانِ تَأْثِيرِ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ مَعَ تَسَاوِيهِمَا فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ قَصَدَ بِهَجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَرَكَ وَطَنَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ رَبِّهِ، فَهَجْرَتُهُ هَجْرَةٌ شَرْعِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ يَثَابُ عَلَيْهَا لَصَدَقَ نِيَّتُهُ، وَمَنْ قَصَدَ بِهَجْرَتِهِ مَنَفْعَةً دُنْيَوِيَّةً، مِنْ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ تِجَارَةٍ، أَوْ زَوْجَةٍ، فَلَا يَنَالُ مِنْ هَجْرَتِهِ إِلَّا تِلْكَ الْمَنَفْعَةَ الَّتِي نَوَاهَا، وَلَا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

الحديث الثاني

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»⁽¹⁾.

التعريف براوية الحديث:

أم المؤمنين زوج النبي ﷺ عائشة بنت الصديق التيمية، القرشية، المكية، أفقه نساء الأمة على الإطلاق. أمها: أم رومان بنت عامر، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بأعوام، ودخل بها في شوال سنة 2هـ، منصرفه ﷺ من غزوة بدر، وكانت -رضي الله عنها- أحب نسائه ﷺ إليه، ومات رسول الله ﷺ بين سحرها ونحرها، أي: وهو واضع رأسه بين صدرها وعنقها، ودُفِنَ في بيتها.

روت عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وكانت من أكبر فقهاء الصحابة، والمرجع الأول في الحديث والسنة، والفقيهة الأولى في الإسلام، وكان فقهاء الصحابة يرجعون إليها في المعضلات فيجدون عندها الأجوبة، وقد تفقه بها جماعة من الصحابة والتابعين وحدثوا عنها. توفيت سنة 59هـ، ودُفِنَتْ بالبقيع⁽²⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (26033)، ج 43 ص 157. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (2550). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (1718). وابن ماجه، السنن، أبواب السنة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، رقم (14). وأبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (4606).

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 135-209.

مفردات وتراكيب الحديث:

- أحدث: أنشأ واخترع.
- أمرنا: ديننا.
- هذا: إشارة لجلالته ومزيد رفعة وتعظيمه.
- ما ليس منه: من الدين، بالأ يشهد له شيء من أدلة الشرع وقواعده العامة.
- رد: مردود غير مقبول، أي: باطل.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وأصل عظيم من أصوله، فهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن الحديث السابق: «الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها، فإذا كان كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى لا يثاب عليه العبد عند الله ﷻ، ولا يقبل إن كان طاعة وعبادة، فكذلك كل عمل لا يكون وفق ما شرع الله ﷻ وشرع رسوله ﷺ، فهو مردود على عامله، وقد يؤثم عليه. فشرط قبول أي عمل في الشرع، كما دلت النصوص الشرعية، الأول الإخلاص لله، والثاني أن يكون العمل موافقاً للسنة.

ويؤكد ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما وافق السنة).

ويشتهر بين طلاب العلم قول الإمام القدوة شيخ الإسلام الفضيل بن عياض -رحمه الله- في تفسير ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ من قوله ﷻ: ﴿لَيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: 7، وسورة الملك: 2]، حيث

قَالَ - رحمه الله -: «أَحْسَنُ الْعَمَلِ أَخْلَصُهُ وَأَصَوَّبُهُ، قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ»⁽¹⁾.

ولا يندرج تحت هذا الحديث ولا يكون من المحدثات والبدع ما يبني من الأعمال والأقوال على الأصول الواردة في الكتاب والسنة وهدى النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وما وافق ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، ككتابة القرآن الكريم في المصاحف، وكالمذاهب التي أسسها الأئمة العلماء، والكتب في العلوم المختلفة كالنحو والصرف والحساب والمواريث والطب والهندسة وغير ذلك من العلوم النافعة، وزيادة التعبد بالصلاة والصوم والذكر.

(1) رواه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج 8 ص 95.

الحديث الثالث

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى. أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (1).

التعريف براوي الحديث:

النعمان بن بشير بن سعد، الأمير العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي، ابن أخت عبد الله بن رواحة.

وهو أول مولود للأنصار بالمدينة المنورة بعد مقدم النبي ﷺ إليها، كما أن عبد الله بن الزبير أول مولود وُلد للمهاجرين بعد الهجرة، فهما مولودان في عام واحد، له مائة وأربعة عشر حديثاً، مات الرسول ﷺ وله من العمر آنذاك ثمانى سنوات وسبعة أشهر، فهو أخذ الحديث وهو صغير، ورواه بعد بلوغه، كان من أمراء معاوية ، فولاه الكوفة مدة، ثم وُلِي قضاء دمشق بعد فضالة

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (1599).

🕌 ثم وُلِّي إمرة حمص. استشهد آخر سنة أربع وستين في قرية بيرين إحدى قرى حمص⁽¹⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- الحلال: وهو ما نص الله ورسوله، أو أجمع المسلمون على جوازه، أو لم يعلم فيه منع.
- بين: ظاهر.
- الحرام: ما نهى عنه الشرع نهياً جازماً مؤكداً، بحيث يعاقب فاعله ويثاب تاركه.
- أمور: شؤون وأحوال.
- مشتبهات: ليست بواضحة الحل ولا الحرمة.
- لا يعلمهن كثير من الناس: لا يدري كثير من الناس ما حكمها.
- اتقى الشبهات: تركها وحذر منها.
- استبرأ لدينه: طلب البراءة والسلامة له من الذم الشرعي وحصل عليها.
- وقع في الشبهات: اجتراً على الوقوع فيها.
- عرضه: العرض: موضع المدح والذم من الإنسان، والمقصود هنا: أن يصون نفسه عن كلام الناس فيه بما يشينه ويعيبه.
- الحمى: المكان المحمي المحظور عن غير مالكة، ويتوعد من دخل إليه أو قرب منه بالعقوبة الشديدة.
- يوشك: يقرب ويسرع.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 411-412.

- يرتع فيه: بفتح التاء، يدخله وتأكّل ماشيته منه فيعاقب.
- صلحت: استقامت بفتح اللام وضمها، والفتح أشهر وقيد بعضهم الضم بالصلاح الذي صار سجية.
- محارمه: جمع محرم، وهو فعل المنهي عنه، أو ترك المأمور به الواجب.
- مضغة: قطعة لحم قدر ما يُمضغ في الفم.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث الجليل هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، فهو حديث عظيم، وأصل من أصول الشريعة، وهو من جوامع كلمه ﷺ.

بيّن الحديث أنّ الحلال ظاهر واضح، وهو كل شيء لا يوجد دليل على تحريمه، من كتاب أو سنة، أو إجماع أو قياس، وذلك لأنّ الأصل في الأشياء الإباحة، وذلك مثل الخبز والفواكه والزيت والعسل والكلام والنظر والمشى.

وكذلك الحرام ظاهر واضح، وهو ما دل دليل على تحريمه، سواء كان هذا الدليل من الكتاب، أو من السنة، أو من الإجماع، كالخمر والخنزير والغيبة والنميمة.

وبيّن الحديث أنّ بين الحلال والحرام قسماً ثالثاً، وهو المشتبهات، وهي الأمور التي تكون غير واضحة الحكم من حيث الحل والحرمة، فلا يعلم الكثير هل هي حلال أو حرام، أما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو غير ذلك، ويدخل في ذلك جميع الأمور المشكوك فيها، مثل: المال المشبوه أو المخلوط بالربا، أو غيره من الأموال

المحرمة، فإن تأكد المسلم أنَّ هذا من عين المال الربوي مثلاً، فإنَّه حرام صرفٌ دون شك، ولا يعد من المشتبهات.

ثم أوضح ﷺ أنَّ الخوف على المسلم من الأشياء المشتبهة، فمن اجتنبها فقد طلب البراءة لنفسه، فيسلم له دينه من النقص، وعرضه من القدح والذم والسمعة السيئة، ويكون بعيداً عن الوقوع في الحرام، أما من وقع في الشبهات واجترأ عليها، فقد عرض نفسه للخطر، واقترب من الوقوع في الحرام، وأوقع نفسه في اغتيال الناس له ونيلهم من عرضه.

وضرب الرسول ﷺ مثلاً لمن يرتكب الشبهات، كراعٍ يرعى إبله أو غنمه قرب أرض قد حماها صاحبها، فتوشك ماشية ذلك الراعي أن ترعى في هذا الحمى لقربها منه، فكذلك من يفعل ما فيه شبهة، فإنه بذلك يقترب من الحرام الواضح، فيوشك أن يقع فيه.

ثم ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات بني آدم وفسادها، وهي أن أساس صلاح الجسد كله وأساس فساده مبني على صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته، وصلحت جميع الجوارح، فلم تنبعث إلا إلى طاعة الله، واجتناب سخطه، ففقتعت بالحلال عن الحرام، وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها، وانبعثت في معاصي الله ﷻ، وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال، بل أسرع في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق.

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» ⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، كان يُسمى بالجاهلية عبد شمس، وقيل عبد عمرو، وقد غيّر له النبي ﷺ اسمه إلى عبد الرحمن.

وُلد رضي الله عنه ونشأ في اليمن يتيماً، أسلم على يد الطفيل بن عمرو الدوسي الذي قدم إلى مكة المكرمة قبل الهجرة والتقى رسول الله عند الكعبة فدخل في الإسلام ثم أوصاه الرسول ﷺ بدعوة قومه، فلما عاد إلى اليمن أسلم مع الطفيل بن عمرو جمع من قومه دوس. وقد اشتهر رضي الله عنه بلقب أبي هريرة لعنايته الدائمة بهرة. روى الكثير من الأحاديث، فقد روي عنه 5374 حديثاً، وكان ضابطاً مُتقناً لروايتها، على الرغم من قصر الفترة التي لازم بها النبي ﷺ، وذلك لأنَّ النبي ﷺ دعا له بقوة الحفظ.

كان من أهل الصفة (وهم قوم فقراء يعيشون في مسجد رسول الله ﷺ متفرغون للعلم والعبادة)، وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين، ثم رآه لِيْن

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب المساقاة، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك، رقم (1337).

العريكة مشغولاً بالعبادة فعزله، ثم أراد بعد زمن على العمل فأبى،
كان أكثر مقامه في المدينة.

تعددت الأقوال في سنة وفاته فقليل إنه توفي في السنة السابعة
أو الثامنة أو التاسعة والخمسين للهجرة، عن عمر ناهز الأعوام
الثمانية والسبعين، ودُفن في البقيع في المدينة المنورة.

مفردات وتراكيب الحديث:

- نهيتكم: النهي: طلب الكف على وجه الاستعلاء.
- فاجتنبوه: اتركوه.
- من قبلكم: من الأمم السابقة.
- واختلفهم: مخالفتهم.
- مسائلهم: أسئلتمهم.

سَبَبُ وَرُودِ الْحَدِيثِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ
عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ! وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا
تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ
عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا
نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» ⁽¹⁾.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر،
رقم (412).

المعنى الإجمالي للحديث:

يبين لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث أنه إذا نهانا عن شيء وجب علينا اجتنابه دون استثناء، وإذا أمرنا بشيء فعلينا أن نفعل منه ما نطبق وما نستطيع، فقال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

فقد أمر الشرع بفعل ما في الاستطاعة، دون مشقة ولا تفريط، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وأمر بالاجتناب التام للنواهي الشرعية، وأمر بالوقوف عند توجيهات الله ورسوله ﷺ، وعدم تخطيها.

وسبب ورود الحديث يوضح ذلك، كما مرَّ.

ثم حذرنا النبي ﷺ ألا نكون كبعض الأمم السابقة الذين أكثروا من الأسئلة على أنبيائهم مع مخالفتهم لهم، فعاقبهم الله بأنواع من الهلاك والدمار، فينبغي ألا نكون مثلهم حتى لا نهلك كما هلكوا، فقال ﷺ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

وقد قسم العلماء السؤال إلى قسمين:

أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهذا مأمور به ومن هذا النوع أسئلة الصحابة.

والثاني: ما كان على وجه التعنت والتكلف وهذا هو المنهي عنه. وهذا ممنوع.

الحديث الخامس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»⁽¹⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- من حسن إسلام المرء: من كمال إسلامه.
- ما لا يعنيه: ما لا يهتمُّه.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث عظيم، وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها، وصيانتها عن الرذائل والنقائص، وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع. قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: «وهذا الحديث ربيع الإسلام على ما قاله أبو داود، وأقول: بل هو نصف الإسلام، بل هو الإسلام كله». وهذا الحديث يظهر أنَّ من جملة محاسن إسلام الإنسان وكمال إيمانه: تركه ما لا يهتمه من شؤون الدنيا، سواء من قول أو فعل. ومن ذلك كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه.

فإن اقتصر الإنسان على ما يعنيه من الأمور، سَلِمَ من شر عظيم، والسلامة من الشر خير.

وقد جمع النبي ﷺ في هذا الحديث الورع كله، فهو يعم الترك لما لا يعني: من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي،

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (1737)، ج 3 ص 259. والترمذي، الجامع، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب، رقم (2317). وابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (3976).

والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه كلمة شافية في الورع.

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه».

وقال معروف الكرخي -رحمه الله-: «كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى».

وقال الشافعي -رحمه الله-: «ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني».

فهذه سمة المسلم الحق، أنه يترك ما لا يعنيه ويشغل نفسه بما ينفعه من الخير في الدنيا والآخرة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الحديث السادس

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة، أو أبو ثمامة، صاحب الرسول ﷺ وخادمه وقربته من جهة الخؤولة، فبنو النجار هم أحوال عبد المطلب جد النبي ﷺ، سُمي باسم عمه أنس بن النضر رضي الله عنه.

وأمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية، كان مقدم النبي ﷺ المدينة ابن عشر سنين. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً، وخدم الرسول ﷺ عشر سنين، واستمر في خدمته إلى أن توفي ﷺ وهو عنه راضٍ، وغزا مع رسول الله ﷺ ثماني غزوات، وأقام بالمدينة، وشهد الفتوح، ثم رحل إلى دمشق، ثم انتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً، ومات بالبصرة سنة 93هـ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (13).

(2) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج 1 ص 109-111. والزركلي، الأعلام، ج 2 ص 24-25.

مفردات وتراكيب الحديث:

- لا يؤمن أحدكم: النفي هنا للكمال والتمام، وليس نفياً لأصل الإيمان، ويدل على ذلك، الحديث: «لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»⁽¹⁾.
- لأخيه: في الإسلام.
- ما يحب لنفسه: مثل الذي يحب لنفسه من الخير، والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدينية والدنيوية، وتخرج المنهيات.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام الموصى بها في قوله ﷺ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

يبين الحديث أنه لا يصبح إيمان المؤمن كاملاً، ولا يكون المؤمن مؤمناً حقاً، حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ومعنى هذه المحبة أن يواسي المسلم أخاه في جميع الأمور التي فيها نفع، سواء دينية أو دنيوية، من نصح وإرشاد إلى خير وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وغير ذلك مما يوده لنفسه، فإنه يرشد أخاه إليه، وما كان من شيء يكرهه، وفيه نقص أو ضرر فإنه يبعده عنه، فيكره له ما يكره لنفسه، وهذا مقتضى الأخوة الإيمانية.

(1) علاء الدين علي بن بلبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1993م)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين، رقم (235)، ج1 ص471، قال محققه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

وقد جعل العلماء الأخوة في الدين على ثلاث درجات:

أدناها: سلامة الصدر، فلا يحمل حقدا ولا حسدا ولا غلا على أحد من المسلمين، وهذه الدرجة واجبة. روى عبد الله بن عمرو: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ ﷺ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ»⁽¹⁾.

ودرجة وسطى: وهي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وهي ما يشير إليها الحديث، ويرى كثير من العلماء أنها واجبة، ويرى بعضهم أنها مستحبة.

الدرجة الثالثة وهي العليا: الإيثار، وهي أن تقدم أخاك المسلم على نفسك في أمر تحتاجه أنت. ولقد أثنى الله ﷻ في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة على أهل المدينة من الأنصار بسبب اتصافهم بصفة الإيثار، فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

(1) أخرجه ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم (4216)، قال محققه: حديث صحيح.

الحديث السابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» ⁽¹⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- يؤمن: الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله الموصل إلى رضاه.
- يؤمن بالله: أنه الذي خلقه، وبأنه هو المستحق للعبادة.
- يؤمن باليوم الآخر: أنه سيجازى فيه بعمله.
- فليقل خيرًا: كالإبلاغ عن الله وعن رسوله، وتعليم الخير والأمر بالمعروف عن علم وحلم، والنهي عن المنكر عن علم ورفق، والإصلاح بين الناس، والقول الحسن لهم.
- ليصمت: يسكت.
- فليكرم: بالإحسان إليه وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر منه، والبشر في وجهه، وغير ذلك من وجوه الإكرام.
- جاره: المجاور له، في السكن أو غيره من الأماكن كالسوق وغيرها.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم (6110). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، رقم (47).

- فليكرم ضيفه: بالبشر في وجهه، وطيب الحديث معه، وإحضار المتيسر.

- الضيف: هو القادم على القوم النازل بهم، سواء غنياً أو فقيراً.

المعنى الإجمالي للحديث:

يحيوي هذا الحديث صفات لا يتصف بها إلا مَنْ حاز الإيمان الحقيقي الكامل، فقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ» يعني بالإيمان الكامل، وتخصيصه بالإيمان بالله واليوم الآخر إشارة إلى مبدأ الإنسان وهو خلقه وإشارة إلى معاده ونهايته في الآخرة.

وأول هذه الصفات الحرص على قول الخير، قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، فالمؤمن يراقب لسانه، فإن كان سينطق بخير أطلقه في الخير، وإن كان سينطق بغير الخير من كذب وغيبة وسخرية وغيرها من آفات اللسان لجمه وسكت.

وقد بين الله ﷻ أَنَّ مع الإنسان ملكين كل منهما رقيب عتيد يراقبه بتعهد ويتيقظ ليسجل عليه كل صغيرة وكبيرة، فقال ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

كذلك بين النبي ﷺ في حديث معاذ بن جبل ؓ الطويل أَنَّ أعظم سبب لدخول النار هو اللسان، قال ﷺ لمعاذ ؓ: «أَلَا أَخْبَرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ ﷺ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

«تَكَلِّتَكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
(أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ) إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»⁽¹⁾.

وروي في حديث آخر أَنَّ استقامة الإنسان على الإيمان أساسها
استقامة اللسان، فقال ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ
قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»⁽²⁾.

فالمؤمن حريص على ألا يقول إلا الخير، ولا يؤذي أحدًا بلسانه.
ثم الصفة الثانية، الإحسان إلى الجار، قال ﷺ: «وَمَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»، سواء كان جاره في
البيت، أو جاره في العمل بأن يكون جاره في دكانه، أو جاره في
مقعده في الدراسة إن كان طالب مدرسة.

وقد أطلق النبي ﷺ الإكرام فقال: «فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» ولم يحدده
بشيء، فلم يقل مثلاً يكرمه بإعطاء الدراهم أو الصدقة أو اللباس
أو ما أشبه هذا، ليشمل أنواع الإكرام كافة التي تبدأ بالكلمة الطيبة
والمعاملة الحسنة.

وقد حثَّ الله ﷻ على الإحسان للجار، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (22016)، ج36 ص344. ومسلم، الصحيح
المسند، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (2578). والترمذي،
الجامع، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة، رقم (2616)، وقال: حديث حسن
صحيح. وابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم
(3973).

(2) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (13048)، ج20 ص343، قال الهيثمي
-رحمه الله-: «رواه أحمد، وفي إسناده علي بن مسعدة وثقه جماعة، وضعفه
آخرون». (الهيثمي، مجمع الزوائد، ج1 ص53).

وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴿٣٦﴾

[النساء: 36].

وإذا كان الجار مُسْلِمًا ذا قرابة، فله ثلاثة حقوق: حق الجوار والإسلام والقرابة، وإذا كان مسلمًا غير ذي قرابة فله حقان: حق الإسلام وحق الجوار، وإن كان كافرًا غير ذي قرابة فله حق واحد: حق الجوار.

وقد أوضح النبي ﷺ أن من لا يسلم جاره من شروره وأذاه وبوائقه فإنه لن يحقق الإيمان الكامل الحقيقي، فقد روى أبو شريح رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ». قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ»⁽¹⁾.

أما الصفة الثالثة في الحديث فهي إكرام الضيف، قال ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»، وإكرام الضيف من الإيمان، ومن مظاهر حسن الإسلام. لذا كان من أخلاق الأنبياء والصالحين، وآداب الإسلام إكرام الضيف.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (5670).

الحديث الثامن

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

هو: الصحابي الجليل أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حِرَامِ الْغِفَارِيِّ، مِنْ بَنِي غِفَارٍ، مِنْ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ، مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، كَانَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ أَسْلَمَ، كَانَ خَامِسَ خَمْسَةِ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ بِهَا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ هَاجَرَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه، وَلاَزَمَهُ، وَجَاهَدَ مَعَهُ، وَكَانَ يَفْتِي فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ.

وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الصِّدْقِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيًّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِتَحِيَةِ الْإِسْلَامِ، رَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ 281 حَدِيثًا. مَاتَ سَنَةَ 32 هـ⁽²⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- اتَّقِ اللَّهَ: اتَّخَذَ وَقَايَةً وَحَاجِزًا يَمْنَعُكَ وَيَحْفَظُكَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ.

(1) أخرجه أحمد، المسند، رقم (21354)، ج 35 ص 284، قال محققوه: حسن لغيره. والترمذي، الجامع، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرَةِ النَّاسِ، رقم (1987)، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 46-78. والزركلي، الأعلام، ج 2 ص 140.

- حيثما كنت: في أي زمان ومكان كنت فيه حيث يراك الناس،
وحيث لا يرونك، فإن الله مطلع عليك.
- اتَّبِع: اَلْحَق، أي افعل بعدها.
- السيئة: الذنب الذي يصدر منك، بترك بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات.
- الحسنة: العمل الصالح.
- تمحها: تمحو وتُزيل أثرها السيئ في القلب، وعقابها من صف الملائكة.
- وخالق الناس: أي تخلّق وجاهد نفسك بلزوم أحسن الأخلاق في معاملة الناس.
- خلق حسن: أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك، فبذلك تجتمع القلوب، وتتفق الكلمة، وتنظم الأحوال.

المعنى الإجمالي للحديث:

قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: «هذا الحديث جامع لسائر أحكام الشريعة، إذ هي لا تخرج عن الأمر والنهي، فهو كل الإسلام، لأنه متضمن لما تضمنه حديث جبريل من الإيمان والإسلام والإحسان».

وقال المُنَاوِي -رحمه الله-: «هذا الحديث من القواعد المهمة، لإبانيته لخير الدارين، وتضمنه ما يلزم المكلف من رعاية حق الحق والخلق، وقال بعضهم: هو جامع لجميع أحكام الشريعة، إذ لا يخرج عنه شيء. وقال آخر: فصل فيه تفصيلاً بديعاً، فإنه اشتمل على ثلاثة أحكام، كل منها جامع في باب، ومترتب على ما قبله».

وقد تضمن هذا الحديث ثلاث وصايا للمسلم:

الوصية الأولى: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، الأمر بالتقوى في كل زمان ومكان وعلى أي حال، والتقوى حق الله تعالى على عباده، فإنَّ حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته، قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ [آل عمران: 102].

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه. قال طلق بن حبيب -رحمه الله-: «التقوى: أنْ تعملَ بطاعةِ الله، على نورٍ من الله، ترجو ثوابَ الله، وأنْ تتركَ معصيةَ الله، على نورٍ من الله، تخافُ عقابَ الله».

ولمكانة التقوى فقد ذكرت في القرآن الكريم في ثمانية وخمسين ومائتي موضع.

والتقوى لا تكون في مكان دون مكان، ولا في زمن دون زمان، ولا مع أشخاص دون أشخاص، فالمتقي يتقي الله ﷻ في كل مكان، وفي كل زمان، ومع جميع الناس، مسلمين وغير مسلمين.

الوصية الثانية: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»، فالعبد لما كان مأمورًا بالتقوى مع أنه لا بُدَّ أن يقع منه أحيانًا تفريط، إما بترك بعض المأمورات، وإما بارتكاب بعض المحظورات، فأوصى الحديث بأن يفعل المسلم ما يحو به تلك السيئة، وهو أن يتبعها بالحسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114].

قال سلمان رضي الله عنه: (إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية، فأحسن حسنة في علانية، لكي تكون هذه بهذه)⁽¹⁾.

جاء في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يُذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135]⁽²⁾.

وأولى الحسنات أن تتبع بها السيئة التوبة من الذنب، ثم يزداد عليها من العمل الصالح، ما يزيل أثر تلك السيئة عن قلبك ومن صحيفتك.

وقد أخبر الله ﷻ في مواضع كثيرة من كتابه أن من تاب من ذنبه، فإنه يُغفر له ذنبه أو يتاب عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 17]، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 119]. وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 70]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: 82].

(1) الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص 216.

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، رقم (406).

الوصية الثالثة: «وَحَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ»، أي: عاملهم وعاشرهم بسجية وطبع حسن جميل محبوب، بملاطفة، وطلاقة وجه، وبذل معروف، وكف أذى. قال بعض أهل العلم: «حُسْنُ الْخُلُقِ: كَظْمُ الْغَيْظِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ إِلَّا لِلْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا إِذَا انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ أَقْلَعٌ وَاسْتَحْيَا، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِّينَ إِلَّا تَأْدِيبًا أَوْ إِقَامَةً حَدٍّ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ إِلَّا تَغْيِيرًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ أَخْذًا بِمَظْلَمَةٍ لِمَظْلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ».

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، قَالَ تَعَالَى في وصف النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. وعن أنس ؓ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا)⁽¹⁾.

ومن فعل ذلك يرجى له في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح، ففي الحديث عن جابر ؓ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمَتَشَدِّقُونَ وَالْمَتَفِيهَقُونَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارِينَ وَالْمَتَشَدِّقِينَ فَمَا الْمَتَفِيهَقُونَ؟ قَالَ: «الْمَتَكَبِّرُونَ»⁽²⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (13209)، ج 20 ص 431. والبخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، رقم (5850). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات، رقم (659).

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم (2018)، وقال: (حديث حسن غريب).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»⁽¹⁾، ومن حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»⁽²⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (7402)، ج 12 ص 364، قال محققوه: حديث صحيح. وأبو داود، السنن، أول كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم (4681)، مختصرًا. والترمذي، الجامع، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (1162)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(2) أخرجه أحمد، المسند، رقم (25537)، ج 42 ص 346، قال محققوه: حديث صحيح لغيره. وأبو داود، السنن، أول كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (4798).

الحديث التاسع

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رحمته الله قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي
الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ
اسْتَقَمْتُ»⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

أبو عمرو أو أبو عمرة سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن
الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم الثقفي رحمته الله، نسبة إلى ثقيف،
ويقال له الطائفي، لأنه معدود من أهل الطائف، له صحبة ورواية،
وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رحمته الله على الطائف⁽²⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- في الإسلام: في عقيدته وشريعته.
- قولاً: جامعاً لمعاني الدين، واضحاً لا يحتاج إلى تفسير.
- قل آمنت بالله: جدد إيمانك بالله متذكراً بقلبك ذاكراً بلسانك
لتستحضر جميع تفاصيل أركان الإيمان.
- ثم استقم: أي داوم واثبت على عمل الطاعات، والانتهاء عن
جميع المخالفات.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (15416)، ج 24 ص 141. ومسلم، الصحيح
المسند، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم (38).

(2) علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة
الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب
العلمية، ط 1، 1994م)، ج 2 ص 496-497.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيتها النبي ﷺ، ففيه أمران جمع النبي ﷺ فيهما الدين كله، ولذا بَوَّبَ النووي عليه بـ: «باب جامع أوصاف الإسلام»، فالحديث شمل عمل القلب، وهو الإيمان، وعمل الجوارح، وهو الاستقامة، فهو شامل للظاهر والباطن.

جاء الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله ❶ إلى النبي ﷺ ليسأله عن هذا الشأن الجليل، فجاءته الإجابة من مشكاة النبوة بأوضح عبارة، وأوجز لفظ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ».

إنَّ غاية ما يتطلع إليه الإنسان المسلم، أن تتضح له معالم الطريق إلى ربِّه، فتراه يبتهل إليه في صلاته كل يوم وليلة أن يهديه الصراط المستقيم، كي يتخذه منهاجاً يسير عليه، وطريقاً يسلكه إلى ربه، حتى يظفر بالسعادة في الدنيا والآخرة، وجاء الحديث ليضع معلمين رئيسين لسعادة الدارين.

قال ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»: يعني: قل وحدثُ الله وآمنتُ أنه ربي وإلهي الحق، وتوجهت بعبادتي وبعملي له وحده.

وقال ﷺ بعدها: «ثُمَّ اسْتَقِمْ»، أي: استقم على طاعة الله وتوحيد الله بأداء فرائض الله وترك محارم الله.

وقد جاء الأمر بالاستقامة في آيات عدة، منها، قوله ﷺ حاكياً قول عيسى ❷: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: 51]، وقال ﷺ أمراً بعباده: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

وَوَعَدَ ﷻ مِنْ اسْتِقَامَ بِالْأَمْنِ وَالْجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

وقد وردت آثار وأقوال للعلماء والمفسرين في معنى "الاستقامة" جماعها، كما قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: «اعْتَدِلُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَقْدًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا».

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال، والأحوال والنيات، فتشمل حياة المسلم كلها.

ولا يلزم من الاستقامة عدم الوقوع بشيء من المعاصي، لذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: 6]. وهذا «إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس لن يطيقوا الاستقامة حق الاستقامة، كما جاء من حديث ثوبان ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»⁽¹⁾.

فالإنسان المؤمن يسدد ويقارب وإذا علم الله ﷻ منه صدق توجهه إليه سدد خطاه ويسر له سبل الخير.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (22378)، ج 37 ص 60. وابن ماجه، السنن، كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، رقم (277). قوله ﷺ: «استقيموا»، أي: الزموا الطريق المستقيم في الدين، والإتيان بجميع المأمورات، والانتفاء عن جميع المناهي، من الاستقامة. وقوله: «ولن تُحْصُوا»، أحصى: إذا طاق أمرًا وعدً شيئًا، يعني: استقيموا، ولكن لا تطيقون أن تستقيموا حق الاستقامة، لأنها شديدة. وإنما قال: «ولن تحصوا» ليعترفوا بالتقصير، ولا يغترؤا بما يفعلون من الطاعات، ويتركوا من المعاصي، لأن ما يفعلون من الطاعات ويتركون من المعاصي قليل بالنسبة إلى ما هو حق الاستقامة، فإن الاستقامة أن تطيعوا الله ولا تعصوه أصلًا، ومن يطيق هذا. (الحسين بن محمود بن الحسن المشهور بالمُظْهَرِي، المفاتيح في شرح المصابيح، حقق بإشراف: نور الدين طالب، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ط 1، 2012م)، ج 1 ص 355).

الحديث العاشر

عَنْ سَعْدِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

هو الصحابي سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعد بن كعب، الإمام الفاضل المعمر، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي، كان اسمه حَزَنًا، فسمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ سهلاً، وكان أبوه من الصحابة الذين توفُّوا في حياة الرسول ﷺ، مات النَّبِيُّ ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة.

عاش سهل وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وتوفي سنة 88 هـ أو سنة 91 هـ وعليه الأكثرون، وقد بلغ مائة سنة⁽²⁾.

مفردات وتراكيب الحديث:

- دلني: أرشدني.
- ازهد: الزهد لغة: الإعراض عن الشيء احتقاراً له، وشرعاً: أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل.

(1) أخرجه ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم (4102)، وغيره بأسانيد حسنة.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 422-424.

- ازهد في الدنيا: اقتصر على القدر اللازم منها، وترك ما لا ينفعك في الآخرة.

- وازهد فيما عند الناس: من الدنيا.

- يحبك الناس: لأنّ قلوبهم مجبولة على حبّ الدنيا، ومَنْ نازع إنساناً في محبوبه كرهه وقلاه، ومَنْ لم يعارضه فيه أحبه.

المعنى الإجمالي للحديث:

هذا الحديث هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. وقد جاء فيه أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ يطلب منه أن يرشده إلى عمل، يجعل له القبول عند الله ﷻ إذا عمله فيحبه الله ﷻ، وأن يرشده إلى ما إذا عمله يضع الله له القبول بين الناس فيحبه الناس، وأي شيء أعظم أن يوضع للإنسان القبول في السماء وفي الأرض معاً.

فأجابه النبي ﷺ بكلمات موجزات جامعات، فبين له بداية العمل الذي يكون سبباً في محبة الله له، فقال ﷺ: «ازهد في الدنيا يُحبك الله»، فمفتاح محبة الله للعبد أن يزهد في الدنيا، وما فيها من متاع. وقد تنوعت عبارات السلف في معنى الزهد، وجماعها أنّه ترك ما لا يحتاج إليه العبد من الدنيا، وإن كان حلاًلاً، والاقتصار على الكفاية، والمرتبة الأعلى منه هي الورع وهو ترك الشبهات.

ثم بين النبي ﷺ للرجل السبب الذي يجعل الناس يحبونه، فقال ﷺ: «وازهد فيما عند الناس يُحبك الناس»، أي: أعرض عمّا في أيدي الناس من الدنيا يحبونك، لأنّهم مشغولون في محبتها بالطبع، فمن زاحمهم عليها أبغضوه، ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: «لَا تَزَالُ كَرِيمًا عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَزَالُ النَّاسُ يُكْرِمُونَكَ مَا لَمْ تَتَّعَاطَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ اسْتَخَفُّوا بِكَ وَكَرَهُوا حَدِيثَكَ وَأَبْغَضُوكَ»⁽¹⁾.

وقال أبو أيوب السخثياني -رحمه الله-: «لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْعِفَّةُ عَمَّا بِيَدِ النَّاسِ، وَالتَّجَاوُزُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ»⁽²⁾.

فبالزهد في الدنيا ينال المرء حب الله ﷻ وحب الناس.

والذي يحمل الإنسان على الزهد في الدنيا والزهد بما في أيدي الناس، استحضاره للآخرة وما فيها من وقوف بين يدي الله ﷻ وحسابه وعقابه، وأن يتذكر ما فيها من ثواب ونعيم لا يقارن بشيء مما في الدنيا. وكذلك معرفته لقدر الدنيا وقيمتها عند الله ﷻ، وأنها لا تساوي عنده ﷻ جناح بعوضة، وأن الله قد ذمها في كتابة وحث من قدرها.

ومن تأمل حياة سيد الأولين والآخرين ﷺ، علم مقدار زهده في الدنيا، فما شبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض⁽³⁾، وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الزهد، بعناية: محمد شاهين، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، رقم (1511)، ص2016.

(2) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: أحمد علي، (القاهرة: دار الحديث، 2000م)، ج2 ص174.

(3) أخرجه أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابي الشيخ الأصبهاني، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح الونيان، (السعودية: دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998م)، رقم (866)، ج4 ص212.

(4) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني، أخلاق النبي وآدابه، رقم (855)، ج4 ص190.

الحديث الحادي عشر

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ: (إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) ⁽¹⁾.

التعريف براوي الحديث:

هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، الإمام القدوة شيخ الإسلام العدوي المكي، ثم المدني، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه صغيراً، واستصغر يوم أحد، فأولى غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وهو شقيق أم المؤمنين حفصة، وأمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي. كان جريئاً جهيراً، ومن أكثر الصحابة حرصاً على سنة النبي ﷺ، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة، غزا إفريقية مرتين، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة 73 هـ.

مفردات وتراكيب الحديث:

- أخذ: أمسك.

- بمنكبي: المنكب: مجمع العضد والكتف.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، رقم (6053). والترمذي، الجامع، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قصر الأمل، رقم (2333).

هذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وألا يتخذ المؤمن الدنيا وطنًا وسكنًا، بل يكون فيها على جناح سفر مستعدًا للرحيل للدار الآخرة، وفيه حثٌ على الزهد، والإعراض عن الدنيا.

في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمسك بمنكبي عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، وقد فعل ﷺ ذلك لأجل أن يسترعي انتباه ابن عمر ليحفظ ما يقول، ثم قال ﷺ له: «كن في الدنيا»، أي: في مدة إقامتك بها، «كأنك غريبٌ»، كشبه الغريب، قَدِمَ بلدًا لا مَسْكَنَ لَهُ فيه يؤويه، ولا ساكن يسليه، خالٍ عن الأهل والعيال والعلائق، التي هي سبب الاشتغال عن الخالق.

ومقصود التشبه بالغريب ألا يركن إلى الدنيا ويطمئن إليها، لأنَّ الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم، ولا يجزع أن يُرَى على خلاف عادته في الملبوس، ولا يكون متدابِرًا معهم.

«أو عابر سبيل»، أي وكن أشدَّ من الغريب، وهو «عابر السبيل» المار على الطريق طالبًا وطنه، لأنَّ الغريب قد يسكن في بلاد الغربة ويُقيم فيها، بخلاف عابر السبيل القاصد للبلد، فإنَّ من شأنه التخفف وعدم التوقف، والحرص على وصول بلده، فكما أنَّ المسافر لا يحتاج إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المَحَل.

وكان لهذه الوصية وقعها في نفس ابن عمر -رضي الله عنهما-، حيثُ كان إذا بلغها وقالها للناس يزيد فيقول: (إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء) حُضًّا مِنْهُ ﷺ على أن يجعلَ السامعَ الموتَ بين عينيه، فيشتغل بالعمل الصالح،

وأن يقصر الأمل، ويترك غرور الدنيا، ويبادر إلى العمل، ولأنَّ المرء لا يدري متى يصل إلى وطنه صباحًا أو مساءً! فهو إذا أمسى في غربته لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء.

ويزيد فيقول ﷺ : (وخذ من صحتك لمرضك)، أي: فبادر في أيام صحتك بالطاعة لمرضك، واغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها المرض. (ومن حياتك لموتك)، أي: انتهز واغتنم الحياة ما دمت حيًّا، فاجمع فيها ما ينفعك بعد موتك.

وبهذا الحديث أنهى الشيخ مجلسه الثالث وحثهم على حفظ الأحاديث التي أوردها وأن يعملوا بها بعد أن فهموها.

المجلس الرابع

عبادتي

وفي مجلسه الرابع بدأ الشيخ كعادته بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم بين لهم أنّه سينتقل لبيان الأحكام العملية المتعلقة بالطهارة وبعض العبادات التي تهمهم.

وحت طلابه بعد مقدمة لطيفة على السؤال...

فرفع أحد التلاميذ، وهو محمود، يده مستأذناً السؤال، فقال الشيخ: تفضل بسؤالك يا بني..

قال: ذكرت الطهارة شيخنا، فماذا يقصد بها؟

الشيخ: تُعرّف الطَّهَارَةُ بأنّها رفع الحَدَث، وإزالة النِّجَاسَةِ والخَبَث، بالماء أو التُّراب الطَّاهرين.

محمود: فما الحدث؟ وكيف رفعه؟

قال الشيخ: الطهارة نوعان:

النوع الأول: طهارة من الخبث، والخبث هو النجاسة الحسية
أو العينية، كالبول، والغائط، والدم، وغير ذلك من أنواع النجاسات الحسية. وهذه لا يُطهرها إلا الماء الطَّهَّور⁽¹⁾ (الطاهر المطهر) عند جماهير أهل العلم، وذلك بأن تغسل به حتى يزول لونها وطعمها وريحها، إلا نجاسة الكلب والخنزير، فلا بد من غسلها سبع مرات إحداهن بالتراب، على خلاف بين أهل العلم في بعض تفاصيل ذلك.

والنوع الثاني: الطهارة من الحدث، والحدث يقسم إلى

قسمين:

الأول: الأكبر، وهو الذي سببه العلاقة الزوجية الكاملة (الجماع)
ولو لم يُنزل، أو خروج المني من الإنسان، والمني: سائل لزج يخرج من الذكر والأنثى عند ثوران الشهوة الجنسية، فيخرج بالجماع أو بالاحتلام أو العادة السرية، وهو ما يسمى بالجنابة.

وكذلك عند بلوغ الفتاة يصبح عندها خروج دم شهرياً لفترة معينة وبشكل دوري، وهو ما يسمى بالدورة الشهرية، فالأنثى إذا انقطع عنها الدم وانتهت فترة الدورة الشهرية وجب عليها الغسل.

الثاني: الحدث الأصغر، وهو ما يوجب الوضوء إذا أراد الإنسان الصلاة، كخروج البول أو البراز أو الريح أو الصوت من دبره.

وعليه فالطهارة قسمان:

الأول: الطهارة من الحدث الأكبر، وتكون بالغسل، أو التيمم عند فاقدة القدرة على استعمال الماء.

القسم الثاني: الطهارة من الحدث الأصغر، وهذه تكون بالوضوء، أو التيمم عند فاقدة القدرة على استعمال الماء.

(1) وهو الماء الذي بقي على أصل طهوريته، كماء العين وماء البحر وماء البئر.

ويكمل الشيخ كلامه فيقول: ننتقل الآن للكلام عن الوضوء.

الوضوء

ولا يزال الكلام للشيخ: الوضوء، هذه الكلمة جاءت من الوضأة وهي النظافة، وفي الشرع: هو غسل أعضاء محددة شرعاً بنية أداء الصلاة أو ما يلزم لأجله الوضوء.

خالد: حدثنا يا شيخنا عما يجب ويلزم له الوضوء؟

الشيخ: الأمور التي يجب لها الوضوء، هي:

1 - الصلاة.

2 - والطَّواف حول الكعبة في مكة.

3 - وَمَسُّ الْمُصْحَفِ، عند من يرى أنه يجب الوضوء لمن أراد أن يلمس المصحف، وهم جمهور الفقهاء.

أمجد: كيف يكون الوضوء؟

الشيخ: هناك فروض للوضوء، لا يتم الوضوء إلا بها، وإذا أتى بها المسلم كفته، ويكون الإنسان متوضئاً حينها، وهي ستة:

1 - النِّيَّةُ: وَمَحِلُّهَا: القلب، ولو تلفظ بها دون أن يعتقد سنيتهما فلا بأس، وبخاصة إذا خشي الوسواس.

2 - وغسل الوجه: وَحُدُودُ الْوَجْهِ هي: ما بين مَنْبَتِ الشَّعْرِ المعتاد إلى مُنْتَهَى الذَّقْنِ طَوَّلًا، وما بين شَحْمَتَيْ الْأُذُنِ عَرْضًا، ويدخل في ذلك ظاهرُ اللَّحْيَةِ الْكَثِيفَةِ (وهي التي لا يظهر الجلد من تحتها)، وَأَمَّا اللَّحْيَةُ الْخَفِيفَةُ (وهي التي يظهر الجلد من تحتها)، فَإِنَّهُ يَجِبُ غَسْلُهَا حَتَّى يَصِلَ الْمَاءُ إِلَى الْجِلْدِ مِنْ تَحْتِهَا.

3 - وَغَسَلَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ: وَتُغَسَّلُ الْيَدَانِ بَدْءًا مِنْ رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، (وَالْمِرْفَقُ هُوَ الْمِفْصَلُ الَّذِي بَيْنَ الْعِضْدِ وَالسَّاعِدِ).

وقد اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى وَجُوبِ غَسْلِ الْمِرْفَقَيْنِ مَعَ الْيَدَيْنِ.

4 - وَمَسَحَ شَيْءًا مِنَ الرَّأْسِ مَرَّةً وَاحِدَةً.

5 - وَغَسَلَ الْقَدَمَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ: وَالْكَعْبَانِ هُمَا الْعِظْمَتَانِ الْبَارِزَتَانِ عَلَى جَانِبَيِ الرَّجْلِ عِنْدَ مِفْصَلِ السَّاقِ وَالْقَدَمِ. وَيَجِبُ غَسْلُ الْكَعْبَيْنِ مَعَ الرَّجْلِ عَلَى الرَّاجِحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

6 - وَالتَّرْتِيبُ: التَّرْتِيبُ فِي غَسْلِ وَمَسْحِ الْفَرَائِضِ، فَالثَّابِتُ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَتَوَضَّأْ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، وَفِعْلُهُ ﷺ هُوَ بَيَانٌ لِلْقُرْآنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى فَرَضِيَّةِ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السَّتَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6].
وَكُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ سُنَّةٌ يَسْتَحِبُّ فِعْلُهُ وَيَكْرَهُ تَرْكُهُ.

علي: كَيْفَ نَقُومُ بِالْوُضُوءِ بِشَكْلِ كَامِلٍ حَتَّى لَا يَفُوتَنَا شَيْءٌ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

الشيخ: يَكُونُ الْوُضُوءُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ:

1 - اسْتِحْضَارُ النِّيَّةِ فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ الْبَدْءُ بِالسُّوَاكِ.

2 - التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْبَدْءِ بِالْوُضُوءِ، بِأَنْ يَقُولَ (بِسْمِ اللَّهِ) أَوْ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

3 - غَسَلَ الْكَفَّيْنِ (ثلاث مرات).

4 - المضمضة (ثلاث مرات).

5 - الاستنشاق والاستنثار (ثلاث مرات).

5 - غَسَلَ الْوَجْهَ (ثلاث مرات) مع تخليل اللحية الكثة، وَيُسْتَحَبُّ (إطالة الغرة) غسل شيءٍ من مقدمة الرأس مع الوجه.

6 - غَسَلَ الْيَدَيْنِ من رؤوس الأصابع إلى المرفقين، ومع المرفقين، (ثلاث مرات) على أَنْ يَبْدَأَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى قبل الْيُسْرَى، وَيُسْتَحَبُّ غسل جزء مما فوق المرفقين من اليدين.

7 - مَسَحَ جَمِيعَ الرَّأْسِ (مرة واحدة) عند من يرى أَنْ مسح بعض الرأس هو الواجب.

8 - مَسَحَ الْأُذُنَيْنِ من الداخل والخارج مرّة واحدة.

9 - غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (ثلاث مرات)، على أَنْ يَبْدَأَ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى، وَيُسْتَحَبُّ غسل ما فوق الْكَعْبَيْنِ.

10 - يدعو بما ورد من الأدعية بعد فراغه من الوضوء. قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ -أَوْ فَيُسْبِغُ- الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ».

الغُسل أو الاغتسال

خالد: ذكرت لنا أنَّ الحدث الأكبر يجب فيه الغُسل، فكيف يكون الغُسل؟

الشيخ: الغُسل شرعاً: هو تعميمُ البدنِ بالماءِ بنيةٍ معتبرةٍ.

فأركان الغسل وفرائضه:

1 - النية.

2 - إزالة النجاسة عن الجسم إذا وجدت.

3 - تعميم الشعر والبشرة بالماء.

وغير ذلك يعتبر من سنن الغسل.

وهناك صورتان للغُسل:

الأولى مُجزئة، وهي أن يقتصر على فرائض الغسل، فتكون بالنية، وإزالة النجاسة عن البدن إذا وجدت، ثُمَّ تعميم الماء على جميع الجسد.

وأما الصُّورة الثانية فهي الكمال، حيث تكون:

أن يبدأ بالنية ومحلها القلب.

ثم التسمية.

ثُمَّ غسل الفرج باليد اليسرى.

ثُمَّ غسل اليدين ثلاثاً.

ثُمَّ الوضوء، ويجوز أن يؤخر قدميه إلى آخر الغسل إن شاء.

وبعدها يضع المَغْتَسِلُ الماءَ على رأسه مع تخليل أصول الشعر.

ثُمَّ يغسل جسده بدءاً بشقه الأيمن ثم الأيسر.

موسى: وما هي الأسباب التي تجعل الغسل واجباً؟

- الشيخ: للغسل العديد من الأسباب التي تجعله واجباً، وهي:
- 1 - **خُرُوج المني**، ولا فرق في الحُكم بين الذكر أو الأنثى، في النوم أو اليقظة، لقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ**»⁽¹⁾.
 - 2 - **والجماع**، أي: العلاقة الخاصة الكاملة بين الزوجين، وهو من الأحكام المتَّفَق عليها، والغسل واجب على الرجل والمرأة.
 - 3 - **وانقطاع دم الحيض أو النفاس بالنسبة إلى النساء**، لقوله ﷺ: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا**﴾⁽²⁾ **النِّسَاءُ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** [البقرة: 222].
 - 4 - **والموت**، فيجب على المسلمين تغسيل الميت، لقول النبي ﷺ: **لَمَنْ مَاتَ مُجْرَماً: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ»**⁽²⁾.
 - 5 - **والدخول في دين الإسلام**، عند المالكية والحنابلة، ويُسنُّ عند غيرهم.

إبراهيم: هل يسن الغسل في أحوال؟

قال الشيخ، نعم يُسن الغُسل في أوقات وأحوال معينة، منها:
 أن يغتسل ليوم الجمعة قبل الصلاة، وللإحرام سواء أكان للحج أو العُمرَة، وعند دُخول مَكَّة، ولكُلِّ مناسبة فيها اجتماع، وللنَّظافة، وفي الأعياد، وغير ذلك مما لم يُذكر في موجبات الغُسل.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (11434)، ج 18 ص 25-26. ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الحيض، باب: إنما الماء من الماء، رقم (347).

(2) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (11434)، ج 18 ص 350. والبخاري، الجامع الصحيح، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب: سنة المحرم إذا مات، رقم (1753). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الحج، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات، (1206).

التييم

أحمد: قلت شيخنا: إنه يلجأ إلى التيمم في حالة عدم القدرة على استعمال الماء أو عدم وجود الماء، فما التيمم؟

الشيخ: نعم، يكون التيمم للطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر، وأما الطهارة في الثوب والبدن والمكان فلا يُشرع لها تيمم، بل تُزال وتُغسل، فإن لم يستطع إزالتها عن بدنه أو ثوبه أو عن المكان الذي سيصلي فيه، فإنه يُصلي على حاله، ثم يعيد فيما بعد على الوجه الأكمل، عند بعض أهل العلم.

ويُشرع التيمم باعتباره بديلاً عن الوضوء والغسل عند العجز عن استعمال الماء، إما لفقدانه وإما لقلته بحيث لا يكفي إلا للشرب، أو العجز عن استعماله لمرض يمنع استعمال الماء.

والدليل على مشروعية التيمم قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمْ تُسْقِطُوا الْمَاءَ فَمَسَحُوا بِطَيْبٍ مِّنْ أَيْدِيكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

عمرو: كيف نتيمم يا شيخنا؟

الشيخ: بداية أقول يجب أن تنتبهوا أنه ينبغي أن يقع التيمم بعد دخول الوقت للصلاة المتيمم لأدائها.

وأن يتيمم المتيمم لكل فرض عين، وتصح بهذا التيمم صلاة النافلة أو أي عبادة يلزم لها الوضوء إذا أراد أدائها في داخل وقت الفريضة التي تيمم لها.

وثم اعلّموا أنَّ للتيمم أركاناً لا بد أن يأتي بها المتيمم، وهي:

1 - نقل التراب بضربة واحدة على الأرض أو ضربتين عند الحنفية والشافعية ضربة للوجه وضربة لليدين.

2 - النية.

3 - مسح الوجه كله.

4 - مسح اليدين مع المرفقين على وجه الاستيعاب، وذهب جمع من أهل العلم إلى مسح الكفين فقط، وهو الراجح.

وما عدا ذلك سنة.

وأما كيفيته فيكون:

البدء بالتسمية، ثم ضَرْبُ الأرض بالكفين مع تفريج الأصابع وتخفيف ما علق بهما من تراب أو رمل. ثمَّ يمسح المتيمم وجهه بباطن الأصابع. ثمَّ يضرب الأرض ضربة أخرى كالأولى. ثمَّ يمسح كفيه براحتيه ويستحب المسح إلى المرفقين عند من يرى عدم وجوبه إلى المرفقين.

فهو ليس وضوءاً بالتراب، كما يصور البعض، ولكنه فقط مسح الوجه والكفين بأثر التراب على اليدين.

وبذلك يا أبنائي نكون قد انتهينا من الطهارة استعداداً للصلاة، وونتقل إلى فقه الصلاة.

ثم قال الشيخ: نأتي للصلاة.

أحمد: على من تجب الصلاة؟

الشيخ: تجب الصلاة على كل مسلم، بالغ، عاقل، خالٍ من الموانع التي تمنع صحة الصلاة مما لا يستطيع المرء تجاوزه (كالطهارة من الحيض والنفاس).

وحتى تجب الصلاة على الإنسان ويصح أن يؤديها ينبغي أن يكون قد دخل وقتها، ويعرف ذلك بأن يؤذن للصلاة أو عن طريق الحسابات أو التقويم.

علي: وما شروط صحتها؟

الشيخ: حتى تصح الصلاة لا بد أن يكون مؤديها مسلمًا عاقلًا، فلا تصح الصلاة من غير المسلم. ولا من فاقد العقل كالمجنون والسكران.

كذلك من شروط صحتها الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، فلا تصح من غير الطاهر من الحدثين.

وكذلك لا بد من الطهارة من النجاسة الحقيقية، سواء في البدن أم الثوب أو البقعة التي يصلي عليها.

ويشترط لصحة الصلاة ممن يؤديها أن يستر عورته، وحدود عورة الذكر في الصلاة ما بين سرتة وركبته، يجب أن يغطي السرة وما حاذاها وأن يغطي الركبتين، لأنه ما لا يتم الواجب به فهو واجب.

وحُدود عورة الأنثى جميع جسدها إلا الوجه والكفين.

كذلك من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، بأن يتوجه إلى الجهة التي تكون فيها مكة من جهات بلده، وإذا كان في المسجد الحرام في مكة يجب أن يتوجه إلى الكعبة نفسها.

وهذا بالنسبة إلى الفريضة، وأما النافلة، فإنه يجوز للراكب أن يتجه في صلاته حيث اتجهت ركوبته به، ولو خالف جهة القبلة.

ياسر: هل للصلاة فرائض وسنن كما للوضوء؟

الشيخ: نعم، للصلاة أركان وفرائض، ولها سنن ومستحبات، والأركان أو الفرائض لا تقوم الصلاة إلا بالإتيان بها، وهي لا تسقط عن الإنسان إذا نسيها، ولا يُجزئ عن نقصها سجود السهو، وهي:

- 1 - النية.

- 2 - القيام في صلاة الفرض مع القدرة على ذلك.

- 3 - تكبيرة الإحرام بأن يقول: «الله أكبر» قائماً.

- 4 - قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة ومنها البسملة، وذلك للإمام ولل منفرد، أما المأموم فتستحب له قراءتها في السرية والجهرية.

- 5 - الرُّكُوع وأقله أن يَنْحَنِي بحيث يمكنه مس ركبتيه بكفيه، وأكمّله أن يمد ظهره مستوياً، ويجعل رأسه بمستوى ظهره، ويضع يديه قابضاً على ركبتيه.

- 6 - الاعتدال من الرُّكُوع مسوياً ظهره.

- 7 - السُّجُود، بتمكين جبهته وأنفه وكفيه وركبتيه وأطراف أصابع قدميه من محل سجوده.

- 8 - الرِّفْع من السُّجُود مسوياً ظهره.

9 - الجلوس بين السجدين. وكيف جلس كفى، والسنة أن يجلس مفترشاً على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويوجهها إلى القبلة.

10 - الطمأنينة، وهي السكون في كل ركن فعلي. وذلك بأن يمكث المصلي راکعاً أو ساجداً أو جالساً أو قائماً بعد الركوع بمقدار تسبيحة.

11 - التشهد الأخير، وصيغة التشهد المشهورة: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

12 - الجلوس للتشهد الأخير، إذ لا يجوز أن يكون المصلي قائماً وهو يتلو التشهد الأخير.

13 - الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير، وأقلها أن يقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ»، وأكملها أن يقرأ الصلاة الإبراهيمية: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

14 - التسليم على اليمين بأن يقول: «السلام عليكم ورحمة الله»، أما التسليم على اليسار فسنة.

15 - ترتيب الأركان كما ذكرنا، فلو سجد مثلاً قبل ركوعه عمداً بطلت صلاته، وسهواً لزمه الرجوع ليركع ثم يسجد، ثم يسجد للسهو في نهاية الصلاة.

وأما سنن الصلاة فهي ما عدا الأركان المذكورة، وهي كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها، فنذكر ما تيسر منها، وإذا ترك الإنسان منها شيئاً صحت صلاته، لكنه يُكره.

طلب خالد من الشيخ أن يبين له عدد ركعات الصلاة:

فقال الشيخ: لا بد لكم أن تعرفوا أن الله ﷻ فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة وقتها الذي يُعلن عنه بالأذان، كذلك لا بد أن تعرفوا أن النبي ﷺ شرع لنا صلوات تسبق الصلاة المفروضة أو تتبعها، تُعرف بصلوات السنن، أو بالسنن الراتبة.

وإليك عدد ركعات كل صلاة وما يُشرع معها من السنن الرواتب.

الفجر يصليه المسلم ركعتين فرضاً، وقبلهما ركعتين سنة.

ويصلي الظهر أربع ركعات فرضاً، وقبلها وبعدها ركعتين سنة أو أربع ركعات.

ويصلي العصر أربع ركعات فرض، وإذا أحب أن يصلي قبلها أربع ركعات أو ركعتين فله ذلك.

ويصلي المغرب ثلاث ركعات فريضة، وركعتين سنة بعدها.

وأما العشاء فيصلّيها أربع ركعات فرض، وبعدها يصلي ركعتين سنة، ثم يصلي ثلاث ركعات أو ركعة ما يُعرف بصلاة الوتر.

محمد: نعرف أستاذنا أننا نثقل عليك، لكن هلاً بينت لنا كيفية

الصلاة كاملة؟

الشيخ: لا عليكم فنحن نتعلم، إنَّ من أراد أن يؤدي الصلاة عليه أن يؤديها على النحو الآتي:

يقف بعد دخول وقت الصلاة متطهرًا، مستور العورة، مستقبلًا للقبلة، ثم يبدأ بالترتيب بـ:

1 - يقيم للصلاة، سواء كانت الصلاة جماعة أو فردية، وإقامة الصلاة سنة وليست بفرض.

2 - يرفع يديه محاذيًا بهما منكبيه (المنكب: مُجْتَمَعُ رَأْسِ الْعَضُدِ وَالْكَتِفِ) أو أذنيه ناويًا الصلاة التي يريد أن يصليها، ثم يكبر للدخول في الصلاة.

3 - يضع اليد اليمنى على اليسرى عند صدره لا ينخفض بها إلى ما تحت السرة.

4 - يقرأ دعاء الاستفتاح. ودعاء الاستفتاح له عدة صيغ أشهرها أن يقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»، أو يقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»، أو «وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

5 - يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، بأن يقول سرًّا: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، قبل قراءة الفاتحة.

6 - ثم يقرأ الفاتحة حتى يصل إلى (ولا الضالّين) فيقول: (آمين). والتأمين يكون للإمام والمأموم والمنفرد، جهرًا في الصلاة الجهرية وسرًّا في الصلاة السرية.

7 - قراءة سورة قصيرة أو ما يتيسر من آيات القرآن بعد الفاتحة.

8 - يرفع يديه حذو منكبيه ويركع قائلاً «الله أكبر».

9 - يَمُكِّنُ كفيه من ركبتيه ويمد ظهره، ولا يرفع رأسه ولا ينكسه، ثم يقول وهو راكع: «سبحان ربي العظيم» ثلاثاً أو أكثر.

10 - يرفع من الركوع رافعاً يديه حذو منكبيه قائلاً: «سمع الله لمن حمده»، حتى إذا استوى قائماً في اعتدال قال: «ربنا لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه».

11 - يهوي إلى السجود قائلاً: «الله أكبر»، فيسجد على أعضائه السبعة وهي (الجبهة والأنف، والكفين، والركبتين، وثانياً أصابع قدميه نحو القبلة) قائلاً: «سبحان ربي الأعلى» ثلاثاً أو أكثر. «وإذا أحب أن يدعو بخيري الدنيا والآخرة جاز».

12 - يرفع من السجود قائلاً: «الله أكبر» فيجلس مفترشاً رجله اليسرى جالساً عليها، ناصباً اليمنى ويقول: «رب اغفر لي»، ويزيد: «وارحمني وعافني واهدني وارزقني».

13 - ثم يسجد مرة ثانية ويفعل كما فعل في الأولى.

14 - ثم يقوم للركعة الثانية، فيفعل فيها مثل ما فعل في الأولى.

15 - يجلس للتشهد، فإذا كانت الصلاة ثنائية، كصلاة الصبح، فإنه يتشهد ويقرأ الصلاة الإبراهيمية، ثم يدعو⁽¹⁾، ثم يسلم

(1) من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك

جَهْرًا قَائِلًا: «السلام عليكم ورحمة الله» ملتفتًا إلى اليمين،
ثم يسلم ملتفتًا إلى اليسار.

16 - وإذا كانت الصلاة غير ثنائية فيتابع الخطوات التالية: بعد
التشهد والصلاة على النبي ﷺ ينهض مكبرًا رافعًا يديه
حذو منكبيه فيتم صلاته على ما ذكرنا من خطوات سابقة
(إلا أنه يقتصر على الفاتحة فقط في الركعتين الثالثة
والرابعة).

17 - ثم يجلس متوركًا بإفضائه بوركه إلى الأرض وينصب
قدمه اليمنى وبطون أصابعه إلى الأرض أو مفترشًا بأن
يجلس على قدمه اليسرى وينصب قدمه اليمنى، ثم يتشهد
ويقرأ الصلاة الإبراهيمية، ويدعو بما ورد من الدعاء.

18 - ويسلم جَهْرًا قَائِلًا: (السلام عليكم ورحمة الله) ملتفتًا إلى
اليمين، ثم يسلم ملتفتًا إلى اليسار.

بهذا يكون الإنسان قد أدى صلاته ولا بد أن يراعي في أثناء
أدائها التركيز والخشوع، فليس للمسلم من أجر صلاته إلا ما عقل،
أي ركز فيها ولم يسرح ذهنه، ولا يعني هذا أنه إذا سرح في صلاته
بطلت صلاته.

وليد: ذكّرتنا يا شيخنا بسؤال، وهو ماذا يفعل المصلي إذا سها
في صلاة، فحدث عنده نقص أو خلل في الصلاة؟

قال الشيخ: إن من رحمة الله ﷻ بعباده أن شرع لعباده جبر
النقص والخلل الذي يدخل عليهم في عباداتهم، ولا يستطيعون

من المأثم، والمغرم». والمأثم: هو الأمر الذي يأثم به الإنسان، أو هو الإثم
نفسه. والمغرم: يريد به الدين.

التحرز منه على الوجه التام، إما بنوافل العبادات، أو الاستغفار، أو نحو ذلك. ومما شرعه الله لعباده جبراً لنقص طراً على صلاتهم، سجود السهو، غير أنه إنما شرع لجبر أمور خاصة، وليس كل شيء يجبره السهو، أو يشرع له.

وسجود السهو عبارة عن سجدتين يسجدهما المصلي قبل التسليم، أو يسجدهما بعده، ثم يعيد التسليم مرة أخرى إذا سجد بعده، وكلتا الهيئتين جائزة.

وقد اتفق الفقهاء على سجود السهو في المواضع التي ثبت أن النبي ﷺ سجد فيها، أو أمر بالسجود فيها، وهي:

1 - من قام عن جلسة التشهد الأول في الرباعية أو الثلاثية فإنه يمضي ويسجد سجدتي السهو، لما في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ مِنْ اثْنَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ لَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ⁽¹⁾.

2 - من سلم سهواً قبل تمام صلاته ثم رجع فأكملها، فإنه يسجد سجدتي السهو، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ». فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، أبواب السهو، باب: ما جاء في السهو إذا قام من ركعتي الفريضة، رقم (1167).

اِثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ⁽¹⁾.

3 - أن يزيد في الصلاة ركعة سهوًا، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقَالُوا: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ». قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَثَنَّى رِجْلَيْهِ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ)⁽²⁾.

4 - من شك في صلاته فلم يدر كم صلى فإنه يبني على ما تيقن وهو الأقل ويصلي ما تبقى وفق ما تيقن ثم يسجد سجدي السهو، لما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ. ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ. فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ»⁽³⁾.

وبناءً على هذه الأحاديث وأمثالها اتفق الفقهاء في الجملة على أن سجود السهو يُشرع لزيادة، أو نقصان، أو شك في الصلاة. فالزيادة: مثل أن يزيد الإنسان ركوعًا أو سجودًا، أو قِيَامًا أو قعودًا سهوًا لا عمدًا، فإن زاد عمدًا بطلت صلاته.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجماعة والإمامة، باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس، رقم (682).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، أبواب استقبال القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومن لا يرى الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة، رقم (396).

(3) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (571).

والنقص: مثل أن ينقص الإنسان ركناً سهواً، فيعود إليه ليؤديه، ثم يسجد للسهو.

والشك: كأن يتردد أصلى ثلاثاً أم أربعاً، فيبني على الأقل ويسجد للسهو.

محمود: وهل للصلاة ما يبطلها؟

الشيخ: نعم، هناك نواقض ومبطلات للصلاة، منها:

- 1 - الأكل والشرب عمداً في أثناء الصلاة.
- 2 - الكلام في أثناء الصلاة عمداً في غير مصلحة الصلاة.
- 3 - العمل الكثير عمداً مما ليس من جنس الصلاة.
- 4 - الضحك في الصلاة.
- 5 - تبطل الصلاة بترك ما يجب فيها، فمن ترك ركناً أو واجباً من واجبات الصلاة عمداً ودون عذر بطلت صلاته.
- 6 - وتبطل الصلاة إذا اختل شرط من شروطها، كانتقاض الوضوء أو انكشاف العورة وعدم سترها.

قال الشيخ: بعد أن أنهينا الحديث عن الصلاة نأتي للحديث عن الصيام.

الصيام شرعاً: التعبد لله بالإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

سأل علي: ما حكم صيام شهر رمضان؟

الشيخ: فرض عين، وهو ركن من أركان الإسلام.

محمد: على من يجب صيام رمضان شيخنا؟

الشيخ: يجب الصيام على المسلم، العاقل، البالغ، الصحيح، المقيم. ويُزاد في حق المرأة: الطهارة من الحيض والنَّفاس.

عمر: هل للصيام أركان يفترض على المسلم أن يراعيها؟

الشيخ: نعم، للصَّوم رُكنان أساسيان وهما:

الأول: النِّيَّة: وحقيقتها العزم على الفعل امتثالاً لأمر الله ﷻ، فمتى عزمَ على الصَّوم بقلبه فقد تحققت النِّيَّة، ولا يلزمه التَّلَفُّظ بها - بأنْ يقول: نويتُ الصيام غداً-، واعلم أنَّ السَّحُور في حَدِّ ذاته يُعْتَبَرُ نِيَّةً لصيام الغد.

الثاني: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس: الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

ياسر: ما مُبْطَلات الصيام؟

الشيخ: هناك ما يُبْطِل الصَّوم ويُوجِبُ القضاء فقط (يعني يُوجِبُ قضاء ذلك اليوم الذي أفسدَ صَوْمه)، مثل:

1 - الأكل والشُّرب عَمْدًا وما في معناهما: والمقصود إدخال الطعام والشراب عن طريق الفم، فمتى أُدْخِلَ الطعام إلى جَوْفِهِ ذَاكِرًا متعمدًا، فقد أفطر، ويكونُ بذلك آثِمًا، لِتَعَمُّدِهِ معصية الله بالإفطار، ويَلْزَمُهُ التوبة، وعليه قضاء ذلك اليوم.

وأما إِنْ أَكَلَ أو شَرِبَ نَاسِيًا فلا شيء عليه، وَلَيْتَمَ صَوْمُهُ، فقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَأَكَلَ أو شَرِبَ، فَلَيْتَمَ صَوْمُهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ»⁽¹⁾.

وهذا الحُكْم يشمل الفريضة والنافلة، لأن الحديث السابق لم يفرق بين الفرض والنفل.

2 - القِيء عَمْدًا: وسواء كان القيء قليلًا أو كثيرًا، لأن النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقِيءُ (أي: غلبه القيء) وهو صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قِضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ (أي: تَعَمَّدَ الْقِيءُ) فَلْيَقِضْ»⁽²⁾.

3 - الْحَيْضُ وَالنَّفَاسُ: حتى لو خرج دم الْحَيْضُ أو النَّفَاسُ في اللحظة الأخيرة قبل المغرب، فلا خلاف بين العلماء بالفِطْر، ووجوب قضاء ذلك اليوم عليها.

4 - الاستمناء: وهو طلب خروج المني بوسيلة، وقد ذهب الفقهاء إلى أَنَّ المرءَ إِذَا اسْتَمْنَى فَأَنْزَلَ فَسَدَ صَوْمُهُ، وعليه

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الصيام، باب أكل الناسي، وشربه، وجماعه لا يفطر، رقم (1155).

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الصوم، باب ما جاء فيمن استقأ عمدًا، رقم (729). وابن ماجه، السنن، كتاب الصيام، باب ما جاء في الصائم يقيء، رقم (1676).

قضاء ذلك اليوم، أما إذا فُكِّرَ فنزل منه المني أو أُمِّدَى (أي: خرج منه المَذْي)، فصيامه صحيح، ولا يَفْسَدُ بذلك.

وهناك ما يُبْطِلُ الصَّوْمَ وَيُوجِبُ الْقِضَاءَ مع الكفارة هو الجَمَاع، فإذا جَامَعَ الصَّائِمُ في نهار رمضان عالمًا بتحريم الجماع في أثناء الصَّوْمِ، ومتعمدًا لذلك -وسواء أنزل أو لم يُنزل- فقد أَثِمَ بذلك، وفَسَدَ صَوْمُهُ ووجب عليه القضاء والكفارة.

والكَفَّارَةُ هي: عِتْقُ رَقَبَةٍ (تحرير عبد أو أمة)، فإن لم يجد (كما هو الحال اليوم) فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطيع فإطعام سِتِّينَ مسكينًا، هكذا على هذا الترتيب، فلا يُطْعَمُ سَتِينَ مسكينًا إلا إذا لم يَقَوْ على صيام الشهرين، ولا يَصُمُ إلا إذا لم يجد الرقبة، وهذا قول الجمهور.

ويرى الجمهور أن مقدار إطعام المسكين مُدٌّ من طعام، (والمُدُّ: الحِفْنة التي تملأ الكَفَيْنَ معًا)، (والمعنى أن تكون وجبة مُشبعة للمسكين، أما نوع الطعام فيكون حسب الحالة المادية لمن عليه الكفارة). وإذا أُعْسِرَ (أي: وجد صعوبة في إخراج ثمن الكفارة) فلم يستطيع الكفارة، فإنَّها متعلقة بذمته إلى أن يتيسر له ذلك.

وليد: هل هناك آداب ومستحبات وسنن للصيام ما دامت له أركان وفرائض؟

الشيخ: نعم، للصيام سنن ومستحبات وآداب عديدة، نذكر منها:

1 - **السَّحُورُ**: ويستحب السحور لمن يريد الصيام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَهً»⁽¹⁾. ويستحب له تأخيره.

2 - **تعجيل الفطور**: يُسْتَحَبُّ للصائم تعجيل الفطر متى غربت الشمس، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»⁽²⁾.

3 - **أن يفطر على الرطب أو التمر أو الماء قبل الصلاة**: فيستحب أن يكون فطره على رُطَب (بلح)، فإن لم يجد فالتمر، فإن لم يجد فالماء. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفِطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ)⁽³⁾.

4 - **استحباب الدعاء عند الفطر**: وَأَصَحُّ مَا ثَبَتَ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ الْفِطْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «ذَهَبَ

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصوم، باب: بركة السحور من غير إيجاب، رقم (1823). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأکید استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، رقم (1095).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصوم، باب: تعجيل الإفطار، رقم (1856). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأکید استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، رقم (1098).

(3) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، رقم (2356). والترمذي، الجامع، أبواب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار، رقم (696)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»⁽¹⁾،
ويجوز أيضاً الدعاء بغير ذلك.

5 - ملازمة التقوى: وذلك بالكف عن اللغو والرفث - وهو الكلام الفاحش - وغير ذلك مما يُنافي الصَّوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ»⁽²⁾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»⁽³⁾.

6 - الجود والكرم، ومُدارسة القرآن: فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل رضي الله عنه يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل رضي الله عنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة)⁽⁴⁾.

- (1) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصوم، باب القول عند الإفطار، رقم (2357).
- (2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم (1805). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (1151).
- (3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، رقم (1804).
- (4) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصوم، باب: أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان، رقم (1803).

محمود: هل هناك أحوال يجوز فيها للمسلم أن يفطر في شهر رمضان؟

الشيخ: نعم، يجوز للمسلم الفطر في حالات منها:

1 - السفر: فيُباح للمسافر الفِطْر، حتى ولو قويَّ على الصيام، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]. والسفر المبيح للفطر ما زاد على 81 كم.

2 - المرأة الحامل والمُرضِع: يُباح لهما الفِطْر في رمضان، وتقضيان بعد رمضان الأيام التي أفطَرَتَاها فقط.

3 - المريض: يُباح الفِطْر للمريض في رمضان، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]. والمرض المُبيح للفِطْر: هو المرض الذي تلحق المرء بسببه المشقة، أو الذي يخاف فيه زيادة مرضه أو تأخر شفاؤه بسبب الصَّوم.

ويجب على المريض إذا أخذ برخصة الفِطْر وأفطر، إن كان المرض مما يُرجى شفاؤه، أن يقضي الأيام التي أفطرها بعد شفاؤه.

وإن كان المرض مما لا يُرجى شفاؤه، كأن يكون المرض مُزِمًا فيُفطر ويَطْعَم عن كل يوم مسكينًا، ومثله الشيخ الكبير، والمرأة العجوز اللذان لا يقدران على الصوم، فكل هؤلاء يُطعمون مسكينًا عن كل يوم أفطروه من رمضان.

4 - الحائض والنفساء: يجب على الحائض والنفساء الفطر، ولا يصح صومها، بل يحرم عليها الصوم، فلو صامت أثمت، وكان الصوم باطلاً، ويجب عليها القضاء، فعن معاذاة، قالت: سألت عائشة -رضي الله عنها- فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: (كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ)⁽¹⁾.

وإذا طهرت الحائض في أثناء النهار (وكانت مفطرة)، فلا يلزمها الإمساك عن الطعام بقية النهار، أمّا إذا طهرت قبل الفجر الصادق -يعني قبل بداية يوم جديد في الصيام- ولو بلحظة: فإنها تنوي الصيام وتُصوم، سواء اغتسلت قبل الفجر أو بعده، ويكون صومها صحيحاً.

أما إذا حاضت قبل غروب الشمس، ولو بلحظة فعليها قضاء ذلك اليوم.

قال الشيخ: بهذا نكون قد أنهينا كلامنا عن الصيام فهل من سؤال؟

سكت الجميع، فقال الشيخ: إذن ننتقل إلى الزكاة.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، رقم (335).

أحكام الزكاة

الزكاة في الشرع: نصيبٌ مُقدَّرٌ شرعاً، في مالٍ مُعيَّن، يُصَرَفُ لطائفةٍ مخصوصة.

والزكاة فرض واجب على مَنْ كانت فيه وفي ماله الشروط التي سنذكرها.

عمر: اذكرها لنا الآن لو تكرمت حتى لا ننسى.

الشيخ: شروط وجوب الزكاة:

1 - أن يكون من تجب عليه الزكاة حُرّاً: لأنّ الزكاة لا تجبُ على العبد إلا في زكاة الفطر.

2 - أن يكون مُسليماً.

3 - أن يصلَ المالُ الذي يملكُه إلى قيمةٍ ما يسمى بالنَّصاب. والنَّصاب هو: قيمة معينة من المال حددها الشرع، بحيث إذا بَلَغَ مال الشخص هذه القيمة أصبحت الزكاة واجبة عليه.

4 - حَوْلان الحَوْل بأن يَمُرَّ عام هجري كامل على هذا المال الذي بَلَغَ قيمة النَّصاب، مع مالكة.

وهناك بعض الأنواع تُستثنى من شرط مرور العام الكامل عليها، وهي: الزروع والثُّمار الخارجة من الأرض، وكذلك نتاج المواشي، وكذلك رِبْح التجارة، وكذلك الرُّكاز، وهو ما يُكتشف في الأرض من الدفائن والمعادن.

عمر: ما الأصناف التي تجب فيها الزكاة؟

الشيخ: تجب الزكاة في الأصناف التالية:

- 1 - الذهب والفضة: ونصاب الذهب: ما يُقَدَّر بـ (85 جرامًا) من الذهب عيار 24 قيراطًا.
ونصاب الفضة: ما يُقَدَّر بـ (595 جرامًا) من الفضة.
وقيمة زكاتها: (ربع العشر) اثنان ونصف بالمائة.
- 2 - وتجِب زكاة الأموال النقدية إذا بلغت قيمة نصاب الذهب من عيار (24)، وقيمة زكاتها (ربع العشر) اثنان ونصف بالمائة.
- 3 - الأنعام: والمقصود بالأنعام: زكاة الإبل، والبقر، والغنم فقط.
- وقد فصلت كتب الفقه الأنصبة لكل صنف من أصناف الأنعام ومقدار ما يُخرج من زكاة، وإن شاء الله عندما تكبرون وتملكون الأنعام ترجعون إلى تلك الكتب لتعرفوا أنصبتها وتخرجوا زكاتها.
- 4 - الزروع والثمار: والأصناف التي وردت بها النصوص في وجوب الزكاة عليها أربعة وهي: الحنطة (وهي القمح)، والشعير، والتمر، والزبيب.
- واختلف الفقهاء فيما عدا هذه الأربعة.
- خليل: لمن نعطي الزكاة؟
- قال الشيخ: جاء تحديد الفئات المستحقة للزكاة في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]، وهم ثمانية أصناف:

- 1 - الفقراء.
 - 2 - المساكين: وهم المعوزون الذين هم أحسن حالًا من الفقراء، وهم في زماننا من يقعون على خط الفقر.
 - 3 - العاملون عليها: وهم الموظفون الذين يجمعونها ويوزعونها.
 - 4 - المؤلفة قلوبهم: وهم الذين يُرجى إسلامهم، أو قوة إيمانهم، أو كفُّ شرِّهم عن المسلمين.
 - 5 - في الرقاب: وهُم العبيد والإماء، والمقصود تحريرهم من العبودية.
 - 6 - الغارمون: جمع غارم، وهو الذي لَحِقَهُ الغَرَم وهو الدَّيْن، وَيُسَمَّى بالمَدِين.
 - 7 - في سبيل الله: والمقصود بهذا المَصْرَف الإنفاق من أجل الجهاد، ونشر الإسلام، ورأى فريق من أهل العلم جواز الإنفاق في جميع مصالح الخير والبرِّ.
 - 8 - ابن السبيل: وهو المسافر الذي انقطعت عنه نفقته، بأن ضاعت، أو نفدت، أو أصابها شيء، فاحتاج إلى النفقة.
- ختم الشيخ بقوله: هذه إشارات سريعة تنفعكم في سنكم حول الزكاة، ننتقل منها إلى الركن الخامس من أركان الإسلام لنسلط على أحكامه ضوءًا، الحج ونضيف له العمرة.

فقه العمرة والحج

والآن نأتي للحج والعمرة، **الحجُّ في الشرع**: هو قَصْدُ المشاعرِ المقدَّسة، لأداء المناسك في مكان ووقت مخصوص تعبُّداً لله ﷻ.

أما **العمرة فتعني في الشرع**: التعبُّد لله تعالى بالطَّوافِ بالبيتِ، والسَّعيِّ بين الصَّفا والمروة، والتَّحَلُّلِ منها بالْحَلْقِ أو التَّقصيرِ.

عمرو: بالتأكيد أنَّ الحج فريضة فما حُكْمُ العُمرة؟

الشيخ: نعم، **الحجُّ ركنٌ من أركانِ الإسلامِ**، وفرضٌ من فروضه، يجب على المسلم مرة واحدة في عمره.

أما **العُمرة فالراجح أنَّها واجبةٌ مرة واحدة في عمره**، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمَرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196]، فاقترانها بالحجِّ في الآية، والحجُّ واجبٌ دل على وجوبها.

جميل: متى يجب الحج وتجب العمرة على الإنسان؟

قال الشيخ: **الحجُّ واجبٌ على**: المسلم، العاقل، البالغ، الحرُّ، المستطيع.

والاستطاعة: الزاد، والراحلة، مع تمام القدرة البدنيَّة، بحيث يكون المرء قادراً في ماله وبدنه، مع عدم وجود مانع يمنعه من الذهاب كالحبس، أو الخوف من سلطان ظالم.

ويُشترط أيضاً لوجوب الحجِّ والعمرة على المرأة وجود محرِّم لها يسافر معها، فإن لم تجد محرِّماً فهي عاجزة عجزاً شرعياً.

والمحرِّم: هو الزوج، أو مَنْ تحرَّم عليه حرمة أبديَّة كالأب، والابن، والأخ، وأبو زوجها (حَمَاهَا)، وابن زوجها، وزوج بنتها.

وَيُشْتَرَطُ فِي الْمَحْرَمِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، بَالِغًا، عَاقِلًا.

الشيخ: بهذا نختم مجلسنا الفقهي فهل من سؤال؟

صمت الجميع، فقال الشيخ: نلتاقم الأسبوع القادم -إن شاء

الله- في مثل هذا الوقت في مجلس جديد من مجلسنا.

أستودعكم الله والسلام عليكم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

المجلس الخامس

في محبة النبي ﷺ

افتتح الشيخ مجلسه بالحمد لله وبالصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين...
ثم قال: نعيش في مجلسنا هذا مع حياة خير البشر متتبعين سنوات سيرته من ولادته حتى وداعه ﷺ، ليكون لنا فيه خير قدوة.

وكعادته سمح لتلامذته بسؤاله.

منذر: هل لك أن تصف لنا النبي ﷺ في البداية؟

الشيخ: بالطبع رضي الله عنك، كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس وجهًا، أبيض اللون بياضًا مزهرًا، مستدير الوجه، مليحه، واسع الفم، طويل شق العينين، رَجُل الشعر -بين الجُعودة والسَّبَط- يصل إلى شحمة أذنيه، وأحيانًا بين أذنيه وعاتقه، وقد يمتد حتى منكبيه أحيانًا أخرى، ولم يشب شعره الأسود إلا اليسير منه، حيث قدر شبابه في أواخر عمره بعشرين شعرة موزعة في الرأس وتحت

الفم والصدغين، ويميل اللون إلى الحمرة في بعض شعره من أثر الطَّيب.

وكان متوسط القامة، متوسط الوزن، ليس بال نحيف ولا الجسيم، عريض الصدر ضخم اليدين والقدمين، مبسوط الكفين، كفاه لينتان، قليل لحم العقبين، يحمل في أعلى كتفه اليسرى خاتم النبوة وهو شعر مجتمع كالزر.

وهذه الصفات الجسيمة تدل على جمال المظهر، واكتمال الجسم وقدرته على النهوض بالواجبات العظيمة التي كُلف بها. أمجد: أخبرنا عن أسرة النَّبي ﷺ الأولى ونسبه.

الشيخ: كان نسبه أشرف نسب فهو: «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ»، الذي يعود إلى إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام-.

وأمه ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وقد توفي والده في يثرب في أثناء زيارته لأخواله، وأمه حامل به، وكان جده عبد المطلب زعيم قريش.

خليل: ومتى ولد النَّبي ﷺ ؟

الشيخ: وُلد سيدنا محمد ﷺ يتيماً في مكة المكرمة في شعب أبي طالب، في يوم اثنين من أيام شهر ربيع الأول، وكان ذلك في العام الذي سُمي بعام الفيل.

وعام الفيل هو العام الذي حاول فيه ملك اليمن أبرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة، بعد أن رأى الناس يحجون إليها في مكة، ولا يأتون إلى الكنيسة التي بناها في اليمن وحث الناس على الحج إليها. فجهز أبرهة جيشاً كبيراً تقوده الفيلة وتوجه به إلى مكة، وكان دور الفيلة دك كل ما يلاقيها بما فيها الكعبة عند وصولها إلى مكة.

ومضى الجيش لا يقف في وجهه شيء حتى وصل إلى بغيته، وعندما تهيأ لدخول البلد الحرام، برك الفيل ولم يتحرك، وبينما هم كذلك إذ أرسل الله ﷻ عليهم جماعات من الطير تحمل حجارة رمت بها أبرهة وجنوده وفيلته، فماتوا وهلكوا وفر أبرهة، وبعث الله ﷻ عليه داءً تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء، إلا وهو هزيل جدًّا، وما لبث أن مات.

وكانت هذه الواقعة في شهر المحرم قبل مولد النبي ﷺ بخمسين يومًا أو بخمسة وخمسين يومًا.

وحادثة الفيل ثابتة الوقوع بنص القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَلْعُوفٍ﴾ [الفيل: 1-5].

علي: وكيف كان الحال عند ولادته ﷺ؟

الشيخ: ولد النبي ﷺ كما يولد أي طفل غير أن أمه رأت في الرؤيا أنه قد خرج من بطنها نور أضاء ما بين المشرق والمغرب، وعندما ولد فرح به جده وسماه محمدًا.

وكان أول من أرضعه -بعد أمه- من المرضعات ثوية مولاة أبي لهب مع ابن لها يقال له «مسروح»، وكانت ثوية قد أرضعت قبله عمّه «حمزة بن عبد المطلب»، وأرضعت بعده ابن عمته برة «أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي»، فكان هؤلاء أخوة للنبي ﷺ في الرضاعة.

وكذلك أرضعته حليلة السعدية، إذ كان من عادة أهل الحضر والمدن من العرب أن يرسلوا أطفالهم إلى البادية، ليقضوا أول سنين عمرهم، وذلك:

1. إبعادًا لهم عن أمراض الحواضر، لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم.

2. وليتقنوا اللسان العربي في مهدهم.

فأرسل عبد المطلب حفيده محمدًا ﷺ مع امرأة من بني سعد، وهي حليلة السعدية، كي يقضي أول سنوات عمره في البادية، وكان زوج حليلة هو الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة.

وكان إخوته ﷺ من الرضاعة منها: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة أو جذامة بنت الحارث (وهي الشيماء -لقب غلب على اسمها-).

وقد أمضى محمد الطفل أربع سنوات في ديار بني سعد، ثم أعادته حليلة إلى أمه.

عبد الله: وكيف ربه أمه؟

الشيخ: اعتنت آمنة بولدها اليتيم وأعطته من حنانها الشيء الكثير، وبعد أن قضى معها سنتين، رأت أن تأخذه ليزور قبر والده في يثرب، فلما وصلت إلى يثرب مكثت شهرًا عند أخوال جدّه من

بني النجار، ثم قفلت راجعة، وبينما هي في الطريق مرضت وماتت ودُفنت في منطقة تسمى بالأبواء⁽¹⁾ بين مكة والمدينة، وقد بلغ ﷺ ست سنين.

عمرو: ومن اعتنى به بعد أمه؟

الشيخ: كفله جده عبد المطلب، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده عظيمة نحو حفيده اليتيم، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يدعه وحيداً، وكان يؤثره على أولاده وأحفاده. لكن مع الأسف فإنه لما بلغ ﷺ الثامنة من العمر فارق جده عبد المطلب الحياة.

وليد: ومن كفله بعد جده؟

الشيخ: كان للنبي ﷺ أعمام كثر فأوصى عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يكفل محمداً ويرعاه، لأنه كان شقيق أبيه عبد الله، فقام أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، بل أعظم من ذلك أنه قدّمه عليهم. واختصه بفضل احترام وتقدير، وظلّ فوق أربعين سنة يُعزّز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

وكان أبو طالب تاجراً يشارك في رحلات قريش التجارية فاحتمل النبي ﷺ وهو فتى معه في بعض تلك الرحلات، مما أكسبه بعض الخبرة في هذا المجال.

وفي تلك الفترة اشتغل النبي ﷺ برعي الغنم ليساعد عمّه في تحمل نفقاته، لما كان يعانيه عمّه من ضيق الحال.

(1) منطقة جنوب غرب المدينة المنورة على بعد 170 كم.

وقد أفاده رعي الغنم كثيراً، حيث رقق من قلبه، وأعطاه دُرْبة على رعاية البشر فيما بعد، فقد أَلَفَ العمل والكفاح منذ طفولته، واعتاد أن يهتم بما حوله، ويبذل العون للآخرين.

محمود: هل بقي يعمل في رعي الغنم لما كبر؟

الشيخ: بالطبع لا، فقد اشتغل النبي ﷺ في شبابه بالتجارة فعُرف عنه الصدق والأمانة، فسمعت به امرأة شريفة غنية من قريش هي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فطلبت منه أن يتجر بمالها، فقبل ﷺ، ورجح لها ربحاً وفيراً، فأعجبت بأخلاقه وأمانته أيماً إعجاب.

فاقترح البعض على محمد ﷺ أن يتزوج خديجة، فتقدم للزواج بها على الرغم من فارق العمر بينهما، فقد كان عمره حينها 25 عاماً، وكانت تكبره هي بأعوام. وتم الزواج بينهما وفق المعتاد من عادات قريش وأعطاهما ﷺ مهراً عشرين ناقة فتية.

يحيى: هل أنجب النبي ﷺ أولاداً من خديجة؟

الشيخ: نعم، أنجبت له خديجة ستة من الولد، هم:

اثنان من الذكور هما: (القاسم وعبد الله) توفيا وهما صغيران. وأربعة من البنات: (رقية وأم كلثوم وزينب وفاطمة).

ونضيف أنه كان له ولد سابع من جاريته مارية القبطية اسمه إبراهيم.

ومات بنوه الذكور كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ، إلا فاطمة -رضي الله عنها- فقد توفيت بعده بستة أشهر.

إبراهيم: ومتى بُعث ﷺ وصار نبياً؟

الشيخ: لما قارب عمره ﷺ الأربعين حُبب إليه العزلة والتعبد، فكان يعتزل قومه في غار حراء، وهو غار في جبل يسمى بحراء، ويطل هذا الغار على الكعبة، وكان يمكث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء.

فلما بلغ عمره أربعين سنة، نزل عليه الملك جبريل ﷺ بالوحي، فدخل عليه غَارَ حِرَاءٍ، وَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَ جَبْرِيلُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ضَمًّا شَدِيدًا، ثُمَّ أَرْسَلَهُ، وَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَهُ جَبْرِيلُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ضَمًّا شَدِيدًا، ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَهُ جَبْرِيلُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ضَمًّا شَدِيدًا، ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَائِفًا إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمُّوْنِي زَمُّوْنِي» أَي غَطُونِي، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الْخَوْفُ، فَأَخْبَرَ خَدِيجَةُ الْخَبَرَ، فَطَمَأْنَنَتْه وَأَخَذَتْهُ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ رَجُلًا قَدْ دَخَلَ فِي دِينِ النَّصَارَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى، فَبَيْنَ وَرَقَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَا حَدَثَ مَعَهُ هُوَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ كَمَا حَدَثَ مَعَ سَيِّدِنَا مُوسَى ﷺ (1).

وعندها بدأت مرحلة جديدة من حياة النبي ﷺ، فبعد نزول الوحي والأمر بالدعوة، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (3). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (231).

[المدر: 1-2]، بدأ ﷺ واجبات الدعوة بإنذار النَّاس. وانقسمت الدعوة في مكة إلى مرحلتين، الدعوة السرية والجهرية.

خالد: وكيف كانت الدعوة السرية؟

الشيخ: لم يجهر النَّبي ﷺ بالدعوة على الملأ، وإنما دعا في هذه الفترة أقرب النَّاس إليه، فكان أول من أسلم من النَّاس جميعًا زوجته خديجة، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان يتربى في بيته وكان صبيًا، وصديقه الأقرب أبو بكر الصديق، الذي اجتهد في الدعوة، فأسلم على يديه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم -رضوان الله عليهم جميعًا-، وقد استمرت هذه المرحلة طيلة السنوات الثلاث الأولى، ثم جهر بالدعوة.

وبعد أن انقضت ثلاث سنوات من الدعوة السرية نزل الأمر الإلهي له بأن يجهر بالدعوة، وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، فما كان منه ﷺ إلا أن انطلق لدعوة قومه.

سليمان: وكيف كان استقبال قريش لهذا الجهر؟

الشيخ: لم تتقبل قريش الأمر برحابة صدر، فما إن جهر النَّبي ﷺ بدعوته، حتى أخذت قريش على عاتقها منع انتشار هذه الدعوة، لما رأى زعماءها من تهديد لمصالحهم الشخصية لو قامت للإسلام قائمة، فبدأت بإيذاء النَّبي ﷺ وإيذاء كل من دخل في دين الله ﷻ، ولم تألُ جهدًا خلال سنينٍ عشرٍ في هذه الأذية، فقامت بتعذيب المستضعفين منهم، وبالهزء واللمز بهم قولًا، وفِعْلًا، قال عبد الله بن مسعود -وهو شاهد عيان-: (أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب. وأما أبو بكر ﷺ فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم (وافقهم) على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ، ثم اشترى أبو بكر ﷺ بلالاً ﷺ فأعتقه.

محمد: هل تعرض النبي ﷺ لسوء من قريش؟

الشيخ: لم يسلم رسول الله ﷺ من أذى قريش المعنوي والمادي، فقد ناله نصيبٌ وافٍ من الاتِّهَامات الباطلة، والتشهير الأرعن، فقد اتُّهم تارةً بالجنون، وتارةً أخرى بالسَّحر.

كذلك حاول بعضهم أذيته عن طريق وضع الأذى عليه وهو يصلي، وسيأتي أنهم حاولوا قتله.

وحاولوا أن يصدوه بالإغراء مرةً وبالتهديد أخرى، وحاولوا مرارًا مع عمه أبي طالب أن يترك حمايته وكان يرفض دائمًا.

خالد: كيف كان النبي ﷺ يلقي صحابته في ظل هذا التشديد عليه وعلى صحابته الكرام؟

الشيخ: كان رسول الله ﷺ في ظل هذه الظروف يجتمع بالمؤمنين سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم الذي دخل في الإسلام، وكان بيته في مكان لا تلاحظه قريش، وكان الرسول في لقاءاته مع الصحابة يتلو عليهم ما ينزل عليه من آيات القرآن الكريم، ويعلمهم أحكام الدين وشرائعه ما كان ينزل.

أحمد: هل كان للنبي ﷺ محاولات لإنقاذ أصحابه من العذاب الذي كانوا يتعرضون له في مكة؟

الشيخ: في مقابل تعذيب قريش للمسلمين، رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة إلى أن يُحدث الله ﷻ لهم من أمرهم فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وكانت بلاد الحبشة تدين بالنصرانية، ويحكمها ملكٌ عادلٌ رَفِيقٌ بِالنَّاسِ يلقب بالنجاشي، فهاجر إليها المسلمون مَرَّتَيْنِ. حيث هاجر بعض المسلمين، وكان عددهم عشرة رجال وأربع نسوة، ثم ما لبثوا أن عادوا لما وصلت إليهم إشاعة تقول: إِنَّ قَرِيشًا قد أسلمت، وعندما وصلوا إلى مكة وجدوها كما تركوها.

بل زاد طغيان قريش على المسلمين، فاقترح الرسول ﷺ على المؤمنين الهجرة مجددًا إلى الحبشة، بعد اشتداد العذاب على المسلمين من قريش، فهاجر حينها من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، وثمانية عشرة أو تسع عشرة امرأة.

ولم تترك قريش هؤلاء المهاجرين فأرسلت خلفهم رجلين منها هما: عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، طالبين إليهم إعادة المهاجرين، فلم يفلحوا في مسعاهم، فعاش المهاجرون في حماية النجاشي في الحبشة.

عبد الله: مَنْ أَهَمُّ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ؟

الشيخ: من الأشخاص الذين أسلموا في هذه الفترة وكان لإسلامهم أثر في عزة المسلمين في مكة عُمُ النَّبِيِّ ﷺ حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وكان من أشدَّ فرسان مكة وأشجعهم.

وكذلك أسلم عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان يعادي الدعوة ويعذب أصحابها، الذي كان مهيب الجانب، قوي العزيمة والنشاط.

وبإسلام عمر وحمزة عَزَّ المسلمون، وصاروا يغشون الكعبة
ويطوفون حولها، ويصلُّون لا يخافون قريشًا.

وليد: ماذا كانت ردة فعل قريش على ذلك؟

الشيخ: كانت ردة فعل قريش عنيفة، حيث قررت أن تقتل
النَّبِيَّ ﷺ، فبلغ ذلك عمه أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب،
وأمرهم فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم: شعب بني هاشم، ومنعوه
ممن أرادوا قتله، فأجابوه لذلك، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا أبو لهب
بن عبد المطلب، فقد انحاز إلى قريش وظاهرهم.

ولما رأت قريش ذلك أجمعوا أمرهم واثتمروا فيما بينهم على أن
يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم والمطلب: ألا يتزوجوا
منهم، ولا يزوجهم، ولا يبيعوا منهم شيئًا، ولا يبتاعوا، ولا يقبلوا
منهم صلحًا أبدًا حتى يسلموا رسول الله ﷺ إليهم ليقتلوه. وكتبوه
في صحيفة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة، فدعا رسول الله ﷺ
على كاتبها، فسلَّت يمينه، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال
المحرم سنة سبع من النبوة. فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى
جهدوا، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا مستخفيًا ممَّن أراد صلتهم
من قريش، وكان ممن يصلهم حكيم بن حزام ابن أخي السيدة
خديجة -رضي الله عنها-، وهشام بن عمرو العامري وكان أوصلهم
لبني هاشم.

ثمَّ شاء الله أن يرفع تلك المقاطعة بتسخير بعض العقلاء من
قريش لإنهائها، وهؤلاء العقلاء هم: هشام بن عمرو من بني عامر،
وزهير بن أبي أمية المخزومي، وأبو البَخْتري بن هشام، وزمعة بن

الأسود، والمطعم بن عدي، حيث اتفقوا على نقضها ونجحوا في ذلك.

تيسير: ما هو أعظم حدث أثر في النبي ﷺ في تلك الفترة؟

الشيخ: وفاة عمه أبو طالب، الذي كان يحميه ويمنعه من أذى قريش، وذلك في السنة العاشرة من البعثة.

ثم وفاة زوجه خديجة -رضي الله عنها- في السنة نفسها، وهي التي كانت تخفف عن الرسول همومه وأحزانه لما يلقاه من عداة قريش، فلما ماتت ازداد حزن النبي ﷺ.

وسُمي هذا العام الذي مات فيه عمه وزوجه بـ «عام الحزن».

همام: بماذا فكر النبي ﷺ أن يفعل بعد هذه المأساة التي وقعت عليه؟

الشيخ: بدأ بالبحث عن مكان آخر غير مكة ليتبنى أهله الإسلام ويبني فيه الدولة، فتوجه في شوال من السنة العاشرة للهجرة إلى الطائف، وبرفقتة غلامه زيد بن حارثة ، لعله يجد في قبيلة ثقيف سكان الطائف حُسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وبعد أن مكث فيهم أيامًا ردوه ردًا قبيحًا، وأغروا به صبيانهم فقذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، وعاد رسول الله ﷺ من الطائف دون أن يستجيب أهل الطائف من ثقيف لدعوته، مما زاده حزنًا على حزن.

وعندما عاد إلى مكة لم يستطع دخولها إلا بعد أن أجاره مطعم بن عدي وتكفل بحمايته.

أمجد: ما أثر هذه الأحداث الجسام على النبي ﷺ؟

الشيخ: الله لطيف بعبده ﷺ، ففي غمرة هذه المآسي والأحزان، وصدود القوم عن الإيمان، ومحاربة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل والطرق، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة، كان من رحمة الله بحبيبه محمد ﷺ أن سرى عن نفسه الجريحة، وفؤاده المحزون، فكانت معجزة الإسراء والمعراج، تخفيفاً عنه وتثبيتاً له.

والإسراء: هو السير به ﷺ ليلاً من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، والمعراج: هو الصعود به من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا.

وهذه المعجزة حدثت للنبي ﷺ يقظة بالجسد والروح في ليلة واحدة، حيث جاءه جبريل وميكائيل -عليهما السلام- وهو في الحجر عند الكعبة، فشقَّ جبريل صدره واستخرج قلبه، ثم أتى بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة، فغسل قلبه بماء زمزم، ثم حشي إيماناً وحكمة ثم أعيد.

وبعد ذلك أُسري به ﷺ على دابة تُسمَّى البُرّاق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهناك جَمَعَ الله له الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فصلّى بهم إماماً. ثم أتى له جبريل بِقَدْحَيْنِ أَحَدُهُمَا فِيهِ لَبَنٌ، وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ. فَاخْتَارَ ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنَ اللَّبَنِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: «اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ»⁽¹⁾.

ثم عُرج به من المسجد الأقصى إلى السماوات العُلى، وكلما مرَّ بسماء سلَّم على أهلها والتقى فيها نبياً من الأنبياء، حتى علا فوق سدرة المنتهى في السماء السابعة، وكلم ﷺ الله مباشرة دون أن

(1) أخرجه مسلم، **المسند الصحيح**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (162).

يراه، وفرض ﷺ عليه وعلى أمته في هذا العروج خمس صلوات، ورأى ﷺ الجنة ورأى النار وغيرهما من آيات الله ﷻ، ثم أهبط إلى المسجد الأقصى.

ومن ثمَّ حُمِّلَ على البراق وأُعيد إلى مكة في تلك الليلة، وفي الصباح أخبر قريشًا بأمر المعجزة، فهزئت وسخرت، على الرغم من أنه ﷺ وصف لهم بيت المقدس وصفًا دقيقًا وأخبرهم بخبر قافلة رآها في الطريق، لكنهم كذبوه.

وفي مقابل تكذيبهم صدقه أبو بكر ﷺ وأقوياء الإيمان من صحابته الكرام، وقيل: إِنَّ أبا بكر ﷺ سُمِّيَ بالصدِّيق لتصديقه بهذه الحادثة دون تردد.

مهند: هل استمر النَّبي ﷺ بعد رحلة الطائف بالبحث عن مكان آخر ليهاجر إليه؟

الشيخ: كان النَّبي ﷺ لا يدع فرصة إلا ويعرض فيها الإسلام على من يقابل لعله يجد له معينًا ونصيرًا، فكان إذا ذهب إلى الأسواق العامة التي تجمع العرب من كل مكان تكلم عن الإسلام ودعا له، وكذلك كان يستثمر مواسم الحج في كل عام للدعوة.

وبعد رجوعه من الطائف، وفي سنة 11 من النبوة، فعل النَّبي ﷺ ما كان يفعله في موسم الحج من عرض دينه على القبائل.

حامد: هل فرج عنه في هذا المجال بعد أن سري عن نفسه في رحلة الإسراء والمعراج؟

الشيخ: نعم، كان الفرَج من أوسع أبوابه، فبينما كان النَّبي ﷺ في منطقة منى عند العقبة التي تُرمى عندها الجمار لقي ستة شباب من قبيلة الخزرج من أهل يثرب (المدينة المنورة)، فدعاهم

إلى الإسلام، فما كان منهم إلا أن أسلموا، ووعدوا النبي ﷺ أن يأتيه في العام القادم مع من يستطيعون دعوته إلى الإسلام.

وكان أهل يثرب قد أنهكتهم الحرب الأهلية بين القبيلتين الرئيسيتين فيها الأوس والخزرج، فأمل هؤلاء الشباب الستة أن تكون دعوته ﷺ سبباً لوضع الحرب بين أهل يثرب. ولما رجعوا إلى يثرب حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

وفي العام التالي في موسم الحج سنة 12 من النبوة، عاد النفر الستة ومعهم إخوة لهم قبلوا الدخول في الدين، وكان عددهم اثني عشر شاباً من الخزرج ومن الأوس معاً، فاجتمعوا بالنبي ﷺ وبايعوه ﷺ ببيعة العقبة الأولى، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام.

وبعث معهم النبي ﷺ الشاب مصعب بن عمير ؓ يعلمهم الدين، ويدعو أهل يثرب إلى الإسلام، فنجح نجاحاً باهراً. وقبل حلول موسم الحج التالي -أي: حج السنة الثالثة عشرة- عاد مصعب ؓ إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز، ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة.

ثم عند حلول موسم الحج كانت بيعة العقبة الثانية، حيث تشرف ببيعة النبي ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من مسلمي يثرب، فنظم الرسول ﷺ أمورهم بعد أن استوثق منهم واتفق معهم على الهجرة وإقامة دولة الإسلام في بلادهم على أن يحموه ودعوته مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم، وكانت هذه البيعة مقدمة للهجرة.

جميل: ما موقف قريش من النبي ﷺ وصحبه بعد هذه البيعة؟

الشيخ: لما علمت قريش بإسلام فريق من أهل يثرب، وأنَّ النَّبي ﷺ وصحابته يخططون للهجرة إلى يثرب اشتدَّ أذاها للمؤمنين بمكة، فأذن النَّبي ﷺ بالهجرة، فخرج الصحابة من مكة سرًّا متخفين.

وبالفعل كان أول المهاجرين أبو سلمة بن عبد الأسد ؓ بعد أن أذته قريش إثر عودته من هجرة الحبشة فتوجَّه إلى المدينة في وقت مبكر، تاركًا خلفه زوجته وابنه بعد أن منعتهم قريش.

وكذلك كان مصعب بن عمير وابن أم مكتوم من أوائل المهاجرين، حيث كانا يُقرئان النَّاس القرآن. وقد تتابع المهاجرون فقدم المدينة بلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر ثم عمر بن الخطاب في عشرين من الصحابة، وكلهم هاجروا سرًّا.

وقد سعت قريش بشتى الطرق إلى عرقلة الهجرة إلى المدينة، وإثارة المشكلات أمام المهاجرين، مرة بحجز أموالهم ومنعهم من حملها، ومرة بحجز زوجاتهم وأطفالهم، وثالثة بالاحتتيال لإعادتهم إلى مكة، لكنَّ شيئاً من ذلك كله لم يعق موكب الهجرة. فالمهاجرون كانوا على أتم الاستعداد للانخلاع عن أموالهم وأهليهم وديارهم كلها تلبية لداعي العقيدة.

سامر: وهل هاجر النَّبي ﷺ معهم؟

الشيخ: لقد انتظر النَّبي ﷺ حتى خرج كلُّ من يستطيع الهجرة من أصحابه ؓ.

زيد: كيف كانت هجرة النَّبي ﷺ؟

الشيخ: كان النَّبي ﷺ معروفًا بين المشركين بأنه الصادق الأمين، لذا كان كثير منهم يضعون ودائعهم وأماناتهم عنده، ولأمانته ؓ أوكل إلى ابن عمه عليّ ؓ ردَّ الودائع والأمانات التي

كان قد أودعها أهل مكة عنده إلى أصحابها، ثم توجه إلى بيت أبي بكر حيث ترافقا في هذه الهجرة.

ولم يعلم بأمر هجرته ﷺ إلا علي ؑ وآل أبي بكر ؑ، حيث عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر في تهيئة الزاد لهما، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها -وهو ما يُشد به الوسط- فربطت بها على فم الجراب -وعاء الطعام- فسُميت لذلك: ذات النطاقين، واتجه النبي وصاحبه بعد خروجهما من بيت أبي بكر جنوبًا مع أن يثرب تقع شمالًا ليعموا على المشركين، حتى إذا وصلا إلى «غار ثور»، مكثا فيه ثلاث ليال، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، فيخرج من عندهما في وقت السَّحَر، ويصبح مع قريش بمكة، فلا يسمع من قريش أمرًا يبيتونه لهما إلا وعاه حتى يأتيهما في المساء بخبره، وكان غلام أبي بكر عامر بن فهيرة يغدو عليهما بغنمه صباحًا ليعفي أثر عبد الله ويسقيهما من حليب الشياه يغذوهما به.

ولما أدركت قريش أنَّ رسول الله ﷺ قد خرج من مكة، وهي التي كانت تخطط لحبسه أو قتله قامت قيامتها، وخرجوا يطلبونه من طريق مكة المعتاد إلى يثرب شمالًا، فلم يجدوه فاتجهوا إلى الجنوب على طريق اليمن، حتى صعدوا جبل ثور، ووقفوا عند فم الغار الذي يختبئ فيه النبي ﷺ وأبو بكر ؑ، فأعمى الله ﷻ أبصارهم عنهما، ولما رأى أبو بكر ؑ أقدامهم وهم واقفون على فم الغار، قال: (والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرأنا)، فقال له الرسول ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ

ثَالِثُهُمَا؟»⁽¹⁾.

(1) أخرجه مسلم، **المسند الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ؑ، رقم (2381).

وبعد ثلاث ليال وانقطاع الطلب جاءهما غلامٌ أبي بكر عامر بن فُهيرة رضي الله عنه بالراحتين اللتين كان أبو بكر رضي الله عنه قد أعدهما لهذه الرحلة، ومعه الدليل الذي استأجره النبي ﷺ ليدلّهما على الطريق، وهو عبد الله بن أريقط، وكان مشرّكًا، وتحركوا جميعًا قاصدين يثرب.

وكانت قریش قد وضعت جائزة ضخمةً لكل من يأتي بالنبي وأبي بكر حين أو ميتين فانتهاز الفرصة رجلٌ اسمه سُراقَة بن مالك، وأخذ على نفسه أن يظفر وحده بالجائزة، فخرج في طلبهما. وبعد أن قطعاً مسافة بعيدة أدركهم سراقَة، فلما اقترب منهما ساخت قوائم فرسه في الرمل فلم تقدر على السير، وحاول ثلاث مرات أن يحملها على السير جهة الرسول ﷺ، وعندئذٍ أيقن أنه أمام رسول كريم، فنادى النبي ﷺ وطلب منه أن يعطيه الأمان إذا نصره الله ﷻ، ففعل ﷺ وطلب منه أن يخفي عن قریش أنه رآهما، وبالفعل عاد سراقَة إلى مكة وتظاهر بأنه لم يعثر على أحد⁽¹⁾.

وصل الرسول ﷺ وصاحبه إلى ضواحي يثرب إلى قُباء، حيث تَجَمَّع الصحابةُ المهاجرون فيها، وذلك يوم الاثنين 8 أو 12 من ربيع الأول، فلما وصل ﷺ ضجَّت الطرقات بمستقبله، فأقام في قُباء أيامًا أسس فيها أول مسجد بُني في الإسلام.

ثم سار ﷺ صباح أحد أيام الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فأسس لمسجد هناك وأقام أول جمعة في الإسلام، وأدّى أول خطبة خطبها في الإسلام.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (3693).

ثم سار إلى يثرب فلما وصل إليها أراد كل شخص فيها أن يستضيفه في بيته، لكن وقع الاختيار على أبي أيوب الأنصاري ﷺ، فأقام النبي ﷺ عنده حتى بنى له حُجرة ملتصقة بالمسجد. مأمون: هل لك أن نخبرنا بأهم أحداث سيرة النبي ﷺ حسب تسلسلها الزمني؟

الشيخ: نعم، ونبدأ من أعمال السنة الأولى، وإذا استوقفكم شيء أو غمض عليكم شيء فاسألوا.

أحداث السنة الأولى

كانت يثرب قبيل هجرة المسلمين تضم العديد من الفئات وهم: قبائل الأوس والخزرج ولقبوا بعد الهجرة بـ (الأنصار)، لأنهم نصرُوا الرسول وأصحابه من المهاجرين، كما ضمت المدينة قبائل من يهود (بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير)، وبذلك ضم مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة المسلمين (الأنصار والمهاجرين) ومن بقي على الشرك من الأوس والخزرج، واليهود.

بناء المسجد النبوي:

وأول عمل عمله النبي ﷺ بعد وصوله أن اختار مكاناً ليكون مسجداً له، وكان المكان لغلامين يتيمين من الأنصار، فساومهما على ثمنه، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى إلا أن يبتاعه منهما بعشرة دنانير ذهباً أداها من مال أبي بكر ؓ، ثم ندب المسلمين للاشتراك في بناء المسجد، فأسرعوا إلى ذلك، وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن -الطوب-، حتى تم بناء المسجد، وكانت جدرانه من لبن، وسقفه من جريد النخل مقاماً على الجذوع.

المؤاخاة:

ولأجل أن يصهر النبي ﷺ المجتمع الإسلامي الناشئ ببوتقة واحدة آخى بين المهاجرين والأنصار، فقدم الأنصار السكن والطعام للمهاجرين وشاركوا معهم أموالهم من أجل مساعدتهم بعد الهجرة، وبهذا حل النبي ﷺ مشكلات المهاجرين المعيشية والاجتماعية والمادية، وبذلك أصبح المسلمون في المدينة إخواناً يتشاركون مع بعضهم لقمة عيشهم.

ولأجل تنظيم العلاقات بين مكونات المجتمع المدني الجديد كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، كذلك وادع فيه اليهود، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وكان هذا الكتاب أو تلك الوثيقة متضمنة المبادئ التي قامت عليها أول دولة في الإسلام، وفيها من الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتسامح الديني والتعاون على مصلحة المجتمع.

الإذن بالقتال والتحرك العسكري:

حاولت قريش قتل النبي ﷺ في المدينة وإثارة الفتنة فيها ومحاربة المسلمين فيها، لذا جاء الإذن بالقتال بعد الهجرة مباشرة، وذلك بنزول قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39].

ولما نزل الإذن بالقتال رأى رسول الله ﷺ أن يبسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجاراتهم، فبدأ بالتحركات العسكرية، على شكل سرايا عسكرية. فكانت مجموعة من السرايا⁽¹⁾، وأولها سرية سيف -ساحل- البحر التي كانت في رمضان من السنة الأولى للهجرة، وأميرها حمزة بن عبد المطلب ولم يحدث فيها قتال.

(1) السرية هي البعث الذي يبعثه النبي ﷺ للكفار، وغالبًا تكون بلا قتال، ولا يشارك النبي فيه، ولقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى السري، وهو المشي ليلاً خفية، وهذا سبب إرسالهم إذ لا يشعر بهم العدو. ويبلغ أقصى عددها 400. والفرق بين السرية والغزوة هو اشتراك النبي ﷺ في الغزوة، بينما لا يشارك في السرية ويبعث بأحد الصحابة.

ثم سرية رابغ في شوال من السنة نفسها، وأميرها عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين، فلقى أبا سفيان -وهو في مائتين- على بطن رابغ، وقد ترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال⁽¹⁾.

ثم سرية الخزار في ذي العقدة وأميرها سعد بن أبي وقاص.

(1) يقال له: المقداد بن الأسود ، لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه، وقيل: بل كان عبداً له أسود اللون فتبناه، ويقال: بل أصاب دماً في كندة، فهرب إلى مكة، وحالف الأسود.

أحداث السنة الثانية

غزوات الرسول فيها:

وفي السنة الثانية كانت أول غزوة للنبي ﷺ غزوة الأبواء أو ودّان، وفي هذه الغزوة عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشى الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه.

ثم كانت غزوة بُواط في شهر ربيع الأول ولم يلق فيها كيدًا فعاد.

ثم غزوة سَفْوان في شهر ربيع الأول حيث أغار كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفُهْرِيِّ⁽¹⁾ في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي.

فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلًا من أصحابه لمطاردته، حتى بلغ وادي «سَفْوان» من ناحية بدر، لكنه لم يدرك كُرْزًا وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى.

ثم غزوة ذي العُشَيْرَةِ في جمادى الأولى، حيث خرج فيها رسول الله ﷺ يعترض قافلة لقريش، ذاهبة إلى الشام، فبلغ ﷺ ذا العُشَيْرَةِ، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سببًا لغزوة بدر الكبرى.

وفي هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة.

(1) كرز بن جابر الفهري صحابي جليل، أسلم بعد الهجرة النبوية.

وفي هذه السنة حُوِّلَت القبلة، حيث مكث النَّبي ﷺ بالمدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا يستقبل المسجد الأقصى في القدس في صلاته، فبينما هو في صلاته إذ أوحى الله ﷻ إليه بتحويل القبلة إلى الكعبة فتحَوَّل وتحوَّل من وراءه.

غزوة بدر الكبرى:

وفي هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى، التي تُسمَّى أيضًا بغزوة الفرقان، وكانت في اليوم السابع عشر من رمضان، وسببها أَنَّ النَّبي ﷺ ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش العائدة من الشام إلى مكة، ولم يكن يريد قتالًا، ولكن القافلة التي كان يقودها أبو سفيان نجت بعد أن كان قد أرسل إلى قريش يستنفرها لحماية القافلة، فخرجت قريش في نحو من ألف مقاتل، منهم ستمائة دارع (لابس للدرع) ومائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وسبعمائة بغير، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء المسلمين.

أما المسلمون فكانت عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلًا، وأكثرهم من الأنصار، وكان معهم سبعون جَمَلًا، وفرسان أو ثلاثة أفراس فحسب.

وقبل أن يخوض النَّبي ﷺ المعركة، أراد أن يستشير أصحابه، وبخاصة الأنصار، في خوض المعركة، فأشار عليه المهاجرون بخوضها، وتكلموا خيرًا، ثمَّ علم الأنصار أَنَّهُ يريدُهم، فقالوا كلامًا سرَّ رسولَ الله ﷺ أبدوا فيه موافقتهم على الغزو.

ثم سار الرسول ﷺ حتى وصل إلى ماء بدر فنزل به، وهناك دارت المعركة⁽¹⁾. والتقى المسلمون جيش المشركين، فخرج ثلاثة من أفضل فرسان قريش، وهم: عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة. وخرج لهم ثلاثة من الأنصار، إِلَّا أَنَّ فُرْسَانَ قَرِيْشٍ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فُرْسَانًا مِنْ بَنِي عَمِّهِمْ لِمُبَارَزَتِهِمْ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحُمَزةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فبدأ النزال، وسرعان ما قُتِلَ فرسان قريش.

فبلغ الغضب أوجَه لدى المشركين لهذه البداية المُحِيطَة، فهجموا هجمة رجلٍ واحد على المسلمين، مُتَّبِعِينَ أَسْلُوبَ الْكُرِّ وَالْفَرِّ في قتالهم.

داوم رسول الله ﷺ على حث المسلمين وتشجيعهم على القتال، فالموقف صعب، ولا بُدَّ من الاستمرار برفع المعنويات، فكان يُحَفِّزُهُمْ⁽²⁾.

كذلك واصل ﷺ التَّضَرُّعَ لِلَّهِ والدعاء للمسلمين حتى أوحى الله إليه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، وأمر الله ملائكته بقوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (3042)، ج 5 ص 165. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، رقم (2758).

(2) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (1900).

بَنَانٍ ﴿[الأنفال: 12]﴾. فكان المَدَد من الله أعدادًا من الملائكة، وليس مَلَكًا واحدًا على الرغم من كفايته، وذلك بشارة للمسلمين، إذ قال ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10].

وصلت المعركة إلى النهاية بعد أن تزعزعت صفوف المشركين واضطربت وبدؤوا بالانسحاب والفرار وأخذ المسلمون بقتلهم وأسروهم حتى ألحقوا الهزيمة الفادحة بالمشركين، وانتصر المسلمون.

ثم تحرَّك رسول الله ﷺ بجيشه نحو المدينة ومعه الأسرى من المشركين، وقد بلغ عددهم سبعين رجلًا. وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، استشار أصحابه في قضية الأسرى، فأخذ ﷺ بمشورة أبي بكر ؓ بأخذ الفدية منهم. بأن يأخذ ألف إلى أربعة آلاف درهم عن الأسير، فإن لم يجد ما يفدي به نفسه، علَّم الكتابة لعشرة من مُسلمي المدينة.

وكان عدد المسلمين الذين استشهدوا في المعركة أربعة عشر رجلًا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، أمَّا قتلى المشركين فقد بلغ عددهم سبعين رجلًا معظمهم من قادة قريش، منهم أبو جهل وأمّية بن خلف.

غزوة بني قينقاع:

وبعد تمام الظفر في بدر، نبذ يهود بني قينقاع ما عاهدوا المسلمين عليه، فبدت البغضاء من أفواههم، فدعا ﷺ رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد.

وبدل أن يسعى بنو قينقاع للصالح تظاهروا بالعداوة وتحصنوا
بحصونهم، فسار إليهم النبي ﷺ بجيش في النصف من شوال من
هذه السنة فحاصرهم خمس عشرة ليلة.

ولمَّا رأى بنو قينقاع من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين
وأدركهم الرعب سألوا رسول الله ﷺ أن يخلي سبيلهم، فيخرجوا
من المدينة ولهم النساء والذرية، وللمسلمين الأموال فقبل ذلك ﷺ،
ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت ؓ وأمهاتهم ثلاث ليالٍ، فجلوا
إلى أذرعات (درعة في سوريا) ولم يحل عليهم الحول حتى انتهى
ذكرهم.

أحداث السنة الثالثة

افتتحت السنة الثالثة بمقتل كعب بن الأشرف، وهو أحد اليهود الذين سَخَرُوا وقتهم وجهدهم للتحريض على الإسلام ورسوله ﷺ. ثم غزا رسول الله ﷺ غطفان، بعد أن رجع من غزوة السويق، بعد أن بلغه أنهم يجتمعون لغزو المدينة، فلما سمعوا بخبر خروجه ﷺ لغزوهم هربوا ولم يستطيعوا مواجهة المسلمين. وهي غزوة ذي أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ؓ.

ثم غزا ﷺ بحران بعد أن تناهى إليه أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة، فكان شأنهم كشأن من قبلهم. وسير ﷺ زيداً بسرية تلقاء نجد ليلقى قافلة لقريش بقيادة أبي سفيان، حيث أرادت قريش أن تغير طريق تجارتها المعتاد، فلقاهم زيد عن ماء يسمى الفردة، واستطاع أن يحوز ما في أيديهم ويعود به إلى المدينة.

غزوة أحد:

وفي هذه السنة وقعت غزوة أحد يوم السبت لخمسة عشر خلت من شوال.

وسببها أن قريشاً أرادت أن تتأثر ليوم بدر، فما زالت تستعد حتى تجهزت لغزو المدينة، فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم سبع عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، وقد قُتل أبوها يوم بدر، ثم ساروا حتى وصلوا إلى بطن الوادي من قبل جبل أحد⁽¹⁾ مقابل المدينة.

(1) هو جبل مرتفع يقع شمال المدينة على بعد ميلين منها.

فخرج والمسلمون معه في نحو ألف بينهم مائة دارع وفرسان، وفي منتصف الطريق انخزل زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فرجع ومعه ثلاثمائة من المنافقين، فبقي عدد المسلمين سبعمائة رجل فحسب، ثم مضى الرسول حتى وصل إلى ساحة أحد، فجعل ظهره للجبل ووجهه للمشركين، وصف الجيش، وجعل على كل فرقة منه قائداً، واختار خمسين من الرماة، على رأسهم عبد الله بن جبير الأنصاري ﴿١﴾ ليحموا ظهر المسلمين من التفاف المشركين وراءهم، وقال لهم: «اَحْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلْ، فَلَا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا»⁽¹⁾.

ثم ابتدأ القتال، ونصر الله المؤمنين على أعدائهم، فقتلوا منهم عدداً، ثم ولوا الأدبار، فانغمس المسلمون في أخذ الغنائم التي وجدوها في معسكر المشركين، ورأى ذلك مَنْ ورائهم من الرماة، فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسوله؟ ثم فكروا في ترك أمكنتهم لينالهم نصيب من الغنائم، فذكرهم رئيسهم عبد الله بن جبير بوصية الرسول، فأجابوا بأن الحرب قد انتهت، ولا حاجة إلى البقاء حيث هم، فأبى عبد الله ومعه عشرة آخرون أن يغادروا أمكنتهم، ورأى خالد بن الوليد وكان قائد ميمنة المشركين خلو ظهر المسلمين من الرماة، فكَرَّ عليهم من خلفهم، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وأُشيع أنَّ الرسول ﷺ قد قُتل، ففر بعضهم عائداً إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الرسول، فأصابته حجارتهم حتى وقع وشج وجهه، وخدشت ركبته، وجُرحت شفته السفلى، وكُسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتان

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (2609)، ج 4 ص 368. والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، رقم (3201)، ج 4 ص 176.

من حلقات المغفر في وجنته، وتكاثر المشركون على الرسول يريدون قتله، فثبت ﷺ وثبت معه نفر من المؤمنين، منهم: أبو دجانة، تترس على الرسول ليحميه من نبال المشركين، فكان النبل يقع على ظهره، ومنهم سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ نحو ألف سهم.

ثم استطاع ﷺ الوقوف والنهوض على أكتاف طلحة بن عبيد الله ، فنظر إلى المشركين، فرأى جماعة منهم على ظهر الجبل، فأرسل من ينزلهم قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَغْلُونَا» وانتهت المعركة، وقال أبو سفيان مظهرًا تشفيه والمشركين من هزيمتهم يوم بدر: (يوم بيوم بدر).

وممن قُتل في هذه المعركة حمزة عم الرسول ﷺ، وقد حزن الرسول ﷺ لمشهده حزناً عظيماً.

وقد بلغ عدد قتلى المسلمين فيها نحوًا من السبعين، وقتلى المشركين ثلاثة وعشرين.

غزوة حمراء الأسد:

ولمَّا رجع ﷺ إلى المدينة خاف من رجوع المشركين إلى المدينة ليتَّمُوا انتصارهم، فنادى في اليوم التالي في أصحابه بالخروج خلف العدو، وألا يخرج إلَّا من كان معه بالأمس، فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، فضمَّدوا جراحاتهم، وخرجوا وسار الجيش حتى وصلوا إلى منطقة حمراء الأسد، وقد كان ما ظنَّه الرسول ﷺ حقًّا. فإنَّ المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شئ الغارة على المدينة حتى يتمَّ لهم النصر، فأصرُّوا على الرجوع، ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا أنَّه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس، وألقى الله الرعب في قلوبهم، فأكملوا سيرهم إلى مكَّة.

غدر المشركين بالمسلمين:

في شهر صفر أرسل ﷺ عشرة رجال مع جماعة من غُضَلٍ وقَارَة جاؤوا رسول الله ﷺ يطلبون من يفقههم في الدين، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري ، فخرجوا حتى إذا كانوا بمنطقة الرجيع غدر بهم أولئك الجماعة، ودلُّوا عليهم قبيلة هذيل الذين كان لهم ثأر عند المسلمين، فنفروا إليهم فيما يقرب من مائتي رام، واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم، فلما أحسَّ بهم رجال السرية لجؤوا إلى جبل هناك، فقال لهم الأعداء: انزلوا، ولكم العهد ألا نقتلكم، فنزل إليهم ثلاثة اغترُّوا بعهدهم، وقاتلهم الباقون، ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك.

ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر، امتنع أحدهم فقتلوه، وأما الاثنان، فباعوهما بمكَّة ممن كان له ثأر عند المسلمين، وهناك قُتِلَا.

وفي صفر أيضاً جاء وفد من بني عامر إلى رسول الله ﷺ على رأسه أبو براء عامر بن مالك «مُلاعِب الأسنَّة»، فدعاهم ﷺ إلى الإسلام فلم يسلموا ولم يبعدوا، فطلب أبو عامر من النبي ﷺ أن يبعث معه رجالاً إلى أهل نجد لدعوتهم إلى الإسلام، فقال ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد».

فقال أبو عامر: أنا لهم جار، فأرسل معه المنذر بن عمرو في سبعين من أصحابه كانوا يسمُّون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن، وأمر عليهم المنذر بن عمرو بن خنيس.

فساروا حتى نزلوا «بئر معونة»، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر، فلما وصل إليه، لم يلتفت إلى الكتاب، بل عدا على حرام فقتله، ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر، فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب الأسنة، فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم، فأجابته عَصِيَّة ورِغْل وذَكْوَان، وذهبوا معه، حتى إذا التقوا القرَاء أحاطوا بهم، وقتلوهم حتى قتلوه عن آخرهم، بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقلّة عددهم، ولم ينجُ إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه ارتث⁽¹⁾ من بين القتلى، فعاش حتى استشهد يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر، فقاتل المشركين حتى قُتل مع أصحابه، وأُسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبر أنه من مُضَرَّ جَزَّ عامر ناصيته، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه.

ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح، مصرع سبعين من أفاضل المسلمين، تذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح، وأولئك ذهبوا في غدر شائنة.

ولما كان عمرو بن أمية في الطريق، نزل في ظل شجرة، وجاء رجلان من بني سليم فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم

(1) ارتث فلان: ضُربَ في الحرب فأُخِذَ وَجُمِلَ وبه رَمَقٌ ثم مات، وفي ارتث حديث كعب بن مالك: حديث شريف أنه ارتث يوم أحد فجاء به الزبير يقود بزمام راحلته.

يشعر به، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل، فقال ﷺ: «لقد قتلت قتيلين لأدينهما»، وانشغل بجمع ديتهما من المسلمين ومن حلفائهم اليهود، وهذا الذي صار سببًا لغزوة بني النضير.

وقد تألم النبي ﷺ لأجل هذه المأساة، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة، تألمًا شديدًا، وأقام يدعو على الغادرين أَرْبَعِينَ صَبَاحًا.

غزوة بني النضير:

وفي هذه السنة وقعت غزوة بني النضير، بين المسلمين ويهود بني النضير، وهم قوم من اليهود يجاورون المدينة، وكانوا حلفاء للخزرج وبينهم وبين المسلمين عهد سلم، لكن طبيعة الشر والغدر المتأصلة في اليهود أبت إلا أن تحملهم على نقض عهدهم، فبينما كان الرسول ﷺ وبعض أصحابه في بني النضير إذ ذهبوا إليهم يسألونهم المشاركة في دية الرجلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية، فقام زعماء بني النضير ليتشاوروا وإذا بهم يتآمرون على قتل النبي ﷺ بإلقاء صخرة من ظهر البيت الذي كان جالسًا مسندًا ظهره إلى جداره، فأوحى الله ﷻ إلى نبيه ﷺ بما يكاد له، فنهض سريعًا كأنه يهيم بحاجة، فتوجه ﷺ إلى المدينة، ولحقه أصحابه.

ثم أرسل إليهم محمد بن مسلمة ؓ أن اخرجوا من بلدي فلا تسكنوني بها، وقد هممت بما هممت به من الغدر، ثم أمهلهم ﷺ عشرة أيام للخروج.

وتجهز بنو النضير للخروج في هذا الإنذار، ولكن عبد الله بن أبي، رأس المنافقين، أرسل إليهم ينهاهم عن الخروج، ويعدهم بإرسال ألفين من جماعته يدافعون عنهم، فعدلوا عن النزوح، وتحصنوا

في حصونهم، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، فخرج إليهم ﷺ في أصحابه يحمل لواءه علي بن أبي طالب ؓ، فلما رآهم اليهود أخذوا يرمونهم بالنبل والحجارة، ولم يصل إليهم المدد الذي وعدهم به رأس المنافقين، فحاصرهم المسلمون، لكنهم صبروا، فاضطر المسلمون إلى قطع نخيلهم، فقالوا عندئذٍ: نخرج من بلادك.

واشترط عليهم النبي ﷺ ألا يُخرجوا معهم السلاح، ولهم أن يُخرجوا معهم من أموالهم ما حملته الإبل، ودماؤهم مصونة لا يسفك منها قطرة، فلما أرادوا الخروج أخذوا كل شيء يستطيعونه، وهدموا بيوتهم كيلا يستفيد منها المسلمون، وساروا، فممنهم من نزل خيبر على بعد مائة ميل من المدينة، وممنهم من نزل في ناحية «جرش» بجنوب الشام، ولم يُسلم منهم إلا اثنان.

غزوة بدر الآخرة:

وفي شعبان من السنة الرابعة وقعت غزوة بدر الآخرة، حيث واعد أبو سفيان المسلمين في نهاية غزوة أحد أن يلقاتهم بجيش يجتثهم فيه في بدر السنة القابلة، فخرج له النبي ﷺ على الموعد وجلس ينتظره ثمانية أيام، لكنه نكص على عقبيه هو ومن معه وأخلفوا الموعد، وكفى الله المؤمنين القتال.

أحداث السنة الخامسة

افتتحت هذه السنة في ربيع الأول بغزوة دومة الجندل، واستعمل على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري رضي الله عنه، واختُلف في سبب هذه الغزوة، وقد رجح النبي قبل أن يصل إليها، لما وصل إليه أن من فيها غادروها، ولم يلق كيدًا.

غزوة الأحزاب:

في شوال من السنة الخامسة حدثت غزوة الأحزاب، وتسمى غزوة (الخندق).

وسببها أنه لما أجلي بنو النضير، ذهب رؤساء اليهود إلى حلفائهم من قريش وغطفان يحرضونهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم، فاستجابوا لهم وانضم إليهم حلفاؤهم من بني فزارة وبني مرة وأشجع وغيرهم، واتجهوا نحو المدينة بحيش قوامه قرابة عشرة آلاف مقاتل.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاقهم على مهاجمة المدينة استشار الصحابة رضي الله عنهم، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندقٍ يحول بين العدو وبين المدينة من الجهات التي قد ينفذون منها، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادر إليه المسلمون وعمل هو صلى الله عليه وسلم بنفسه فيه، وكان في أثناء حفره من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، ومن أعظم تلك الآيات التي صنعها الصحابة رضي الله عنهم أنهم استطاعوا أن يحفروا الخندق في أيام معدودة لعلها لا تزيد على خمسة عشر يومًا.

ولما وصلت قريش ومن معها من الأحزاب راعها ما رأت من أمر الخندق ووجدت نفسها أمامه وأمام مرتفعات الحرة وحصن بني قريظة عاجزة عن دخول المدينة، عندها ذهب حُيي بن أخطب

أحد اليهود الذين هيجوا قريشًا والأحزاب ضد المسلمين إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة يطلب منه نقض عهد السلم بينه وبين المسلمين، ويسمح لجيش المشركين بالنفوذ إلى المدينة من خلال حصنهم، فرفض كعب أول الأمر فلم يزل به حُيى حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ودخل مع المشركين في محاربته، فسُرَّ بذلك المشركون، وشرط كعب على حُيى أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل معه في حصنه فيصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك ووفى له به.

فبلغ خبر نقض بني قريظة العهد رسول الله ﷺ فبعث الزبير بن العوام ليتأكد فرأى علامات على خيانتهم، فرجع إلى رسول الله يخبره بما سمع ورأى فبعث النبي سعد بن معاذ، وسعد بن عباد وهما سيّدا قومهما، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وأسيد بن حضير، ليتأكدوا من الأمر ويثنّوهم عما نوا.

فلما وصلوا إليهم وجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسبِّ والعداوة ونالوا من رسول الله ﷺ، فانصرفوا عنهم إلى داخل المدينة فأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد نقضوا العهد وغدروا، فعَظُم ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَأَخْذُ الْمِفْتَاحِ، وَلِيَهْلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ وَلِتَنْفُقَنَّ أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وقد حاول النبي ﷺ أن يرد غطفان بإعطائها ثلث محصول المدينة من التمر ليخفف الضغط على المسلمين، لكن سعد بن معاذ

وسعد بن عباد رفضا ذلك، ففرح رسول الله ﷺ بهذه المعنويات العالية.

ثُمَّ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَسْلَمَ رَجُلٌ مِنْ غُطْفَانَ هُوَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخُذْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُذْعَةٌ»، فاستعمل نعيم دهاءه فكاد مكيدة فرقت بين بني قريظة وبين المشركين من جهة وبين غطفان وبين قريش وحلفائها من جهة أخرى، حيث أقنع كعب بن أسد أن يطلب رهائن من قريش وغطفان خشية غدرهم مما أوقع الخلاف بينهم وآخر هجوم المشركين عبر حصن بني قريظة.

وبعد ما أخذ به النبي ﷺ من أسباب وتوكلوا على الله ﷻ إذا بريح يرسلها الله ﷻ على الأحزاب شديدة في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تقلب قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلات نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا في تلك الليلة، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدهم على هذه الحال وقد تهيؤوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ ليلاً فأخبره برحيل القوم، فلما أصبح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحداً.

غزوة بني قُرَيْظَةَ:

لما أصبح رسول الله ﷺ وقد ردَّ الله الأحزاب بغیظهم لم ينالوا خيراً وكفاه الله قتالهم، وصدق وعده وأعزَّ جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، دخل المدينة ووضع السلاح، فجاءه جبريل ﷺ وهو يغتسل في بيت أم سلمة -رضي الله عنها- فقال: «أَوْضَعْتُمْ

السَّلَاحَ! إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضَعْ بَعْدُ أَسْلِحَتَهَا انْهَضْ إِلَى غَزْوَةِ هَؤُلَاءِ» يعني بني قريظة، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَدِّنًا، فنادى في النَّاسِ: «مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا، فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قَرْيِظَةَ»، فخرج المسلمون سراعًا، فلما دنوا من حصن بني قريظة أخذ المسلمون في حصاره خمسًا وعشرين ليلة.

ولما اشتد الحصار وعظم البلاء على بني قريظة، أرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكم الرسول ﷺ فيهم، وقبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ ؓ، ورأوا أنه سيرأف بهم بسبب الحلف بينهم وبين قومه الأوس.

فجاء بسعدٍ محمولًا، لأنه كان قد أصابه سهم في ذراعه يوم الخندق، فقضى فيهم أن يُقتل الغادرون، وأن تُسبى نساؤهم وذريتهم، وأن تُقسم أموالهم، فأقره رسول الله ﷺ وقال: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ».

وبذلك تبرأ سعد بن معاذ ؓ من حلف بني قريظة ولم يقع في نفوس الأوس شيء رغم تحالفهم مع بني قريظة، وقرب عهدهم بالإسلام، فسيدهم سعد ؓ هو الذي حكم فيهم، وكان عدد مقاتليهم الذين نفذوا فيهم الحكم أربعمئة، ونجا ثلاثة من بني قريظة بدخولهم في الإسلام فأحرزوا أنفسهم وأموالهم.

وبذلك قضى النبي ﷺ على مؤامرات اليهود ودسائسهم وتآمرهم على رسول الله ﷺ ودعوته قضاء مبرمًا في المدينة وما حولها. واستشهد يومَ الخندق ويوم قريظة نحو عشرة من المسلمين.

وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شرِّ مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة، ولم تبق إلا بقية من كبارهم بخيبر

وأهلها وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب. وسيأتي للقارئ قريباً اليوم الذي يعاقبون فيه.

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَوْ الْمُرَيْسِيِّعِ:

في هذه السنة أو في السَّنة السادسة لِلْهِجْرَةِ بلغ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ ضَرَّارٍ سَيِّدَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ الَّذِينَ سَاعَدُوا قَرِيشًا عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحَدٍ يَجْمَعُ الْجُمُوعَ لِحَرْبِهِ، فَخَرَجَ لَهُ ﷺ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ بَلَّغَ سَبْعِمِائَةَ مَقَاتِلٍ، وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي الثَّانِي مِنْ شُعْبَانَ، وَخَرَجَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُولٍ.

وَانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَاءٍ يُسَمَّى (الْمُرَيْسِيِّعِ) اجْتَمَعَ لَدَيْهِ بَنُو الْمُصْطَلِقِ، فَلَمَّا وَصَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَاءِ وَكَانَتْ رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ، وَرَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ؓ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمَلُوا عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ النَّصْرُ.

وَلَمْ يَفْلِتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ، إِذْ وَقَعُوا جَمِيعًا أُسْرَى بَعْدَمَا قُتِلَ مِنْهُمْ عَشْرَةُ أَشْخَاصٍ، وَلَمْ يَسْتَشْهَدْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ قُتِلَ خَطَأً، وَسَقَطَتِ الْقَبِيلَةُ بِمَا تَمَلَّكَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ.

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ يِعَامِلُ الْمَهْزُومِينَ بِالْإِحْسَانِ، فَلَمَّا جَاءَ الْحَارِثُ قَائِدُ الْقَبِيلَةِ الْمُنْكَسِرَةِ يَطْلُبُ ابْنَتَهُ جَوِيرِيَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الْأَسْرِ رَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَطَبَهَا مِنْهُ، وَتَزَوَّجَهَا، فَاسْتَحَى النَّاسُ أَنْ يَسْتَرْقُوا أَصْهَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَطْلَقُوا مَنْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأُسْرَى، فَكَانَتْ جَوِيرِيَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- مِنْ أَيْمَنِ النَّاسِ عَلَى أَهْلِهَا، فَقَدْ أُعْتُقَ فِي زَوَاجِهَا مِائَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ!

صلح الحديبية:

في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، رأى النبي ﷺ في منامه أنه دخل المسجد الحرام هو وصحابته آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون شيئاً.

فأمر ﷺ الناس أن يتجهزوا للخروج إلى مكة معتمرين، لا يريد حرباً لقريش ولا قتالاً، فخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار يحدوهم الشوق إلى رؤية بيت الله الحرام بعد أن حُرِّموا ذلك ست سنوات، وخرج معهم من شاء من الأعراب، وساق أمامه ﷺ ما يساق إلى البيت الحرام من الإبل والنعم تعظيماً للبيت وتكريماً، وأخذ معه زوجته أم سلمة.

وكان عدد من خرج معه ﷺ نحواً من ألف وخمسمائة، ولم يخرجوا معهم بسلاح إلا سلاح المسافرين في تلك العهود: السيوف في أغمادها.

وسار حتى وصل إلى «عُسْفَانَ» فجاء من يقول له: هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا وقد لبسوا جلود النمر يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً.

وعند ذلك أخذ رسول الله ﷺ طريقاً آخر غير معهود، فلما وصل إلى الحديبية -وهو مكان قريب من مكة- منعه قريش من دخول مكة وأرسلت إليه من يفاوضه حتى جاءه سهيل بن عمرو فعقد اتفاقية مع النبي ﷺ عُرفت بصلح الحديبية، واتفقوا على أن يرجع المسلمون إلى المدينة ويعودوا في العام المقبل.

وبعد عقد الصلح أمر الرسول ﷺ أصحابه ﷺ بالتحلل من العمرة، فلم يفعلوا لما أصابهم من حزن وألم لما حيل بينهم وبين دخول مكة، فبادر النبي ﷺ فتحلل من العمرة، فتبعه المسلمون جميعاً، وقد ظهرت فيما بعد فوائد هذه الشروط التي صعبت على المسلمين ورضي بها الرسول ﷺ، لبعد نظره ورجحان عقله، وإمداد الوحي له بالسداد في الرأي: والعمل.

هذا وقد سَمَّى الله هذا الصلح فتحاً مبيناً، حيث انصَرَف رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من الْحُدَيْبِيَّةِ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، قال ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: 1-3]. فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ (1).

مكاتبة الملوك:

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب النبي ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام. واتخذ إذ ذاك خاتماً من فضة يختم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه عدداً من الرسائل إلى مجموعة من الملوك والزعماء، من ذلك:

1 - فكاتب قيصر فأرسل إليه دحية الكلبي ﷺ فكاد يسلم لولا حاشيته.

(1) أخرج ما جرى في صلح الحديبية كاملاً: الإمام أحمد، المسند، رقم (18910)، ج 31 ص 212-220. ورقم (18928)، ج 31 ص 243-253. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، رقم (2581).

2 - وأرسل ﷺ الحارث بن عمير الأزدي ﷺ بكتاب إلى أمير بصرى، فلمّا بلغ مؤتة تعرّض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأمر به فضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

3 - ووجّه ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ﷺ بكتاب إلى المقوقس أمير مصر، فتلطّف ورد ردًّا حسنًا وأكرم حاطب وأرسل إلى النبي ﷺ معه هدية.

4 - ووجّه ﷺ عمرو بن أمية الضمري ﷺ بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة، ولما وصل إليه الكتاب احترمه غاية الاحترام.

5 - ووجّه ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ بكتاب إلى كسرى ملك الفرس، فلمّا وصل إليه الكتاب مزّقه استكبارًا ولما بلغه ﷺ ذلك قال: «مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ»، وقد فعل ﷺ، فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطًا.

6 - ووجّه ﷺ العلاء بن الحضرمي ﷺ بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوّه إلى الإسلام فأسلم.

أحداث السنة السابعة

غزوة خيبر:

في محرم السنة السابعة أمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهز لغزو خيبر، التي كان فيها أعظم مهيج للأحزاب من زعماء اليهود الذين أجلوا من المدينة، الذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الأعراب ضد المسلمين.

ولما اقترب النبي ﷺ من خيبر دعا أن يرزقه الله خيرها وخير أهلها وتعوذ من شرها وشر أهلها، وكان قد انتهى إلى خيبر ليلاً فلم يطرُقها حتى الصُّباح، فلما كان الصُّباح خرج اليهود بمكاتلهم وفؤوسهم إلى أعمالهم، فلما رأوا النبي ﷺ رجعوا إلى حصونهم هاربين، وتحصَّنوا بها، وكانت حصونها ثلاث مناطق رئيسة، النطاة والكتيبة والشق.

فحاصرهم جيش المسلمين حتى طلبوا أن يُصالحهم النبي ﷺ على أرض خيبر يزرعونها له ويُصلحونها على أن يكون لهم الشطر من كلِّ زرع ونخلٍ وشيءٍ ما بدا لرسول الله ﷺ.

وقد استشهد من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلاً، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً.

رجوع من تبقى من مهاجري الحبشة:

وحين رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة ومعه الأشعريون أبو موسى وقومه، وفرح النبي ﷺ بمقدمهم فرحاً عظيماً، وأعطى للأشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحاً، وكان مع جعفر زوج النبي ﷺ أم

حبّية بنت أبي سفيان أم المؤمنين، التي كانت من مهاجرات الحبشة وزوجها النجاشي للنبي ﷺ وهي عنده، وقدم في هذا الوقت على النبي ﷺ الدوسيون إخوان أبي هريرة ؓ، فأعطاهم أيضًا رسول الله ﷺ من الفّيء.

عمرة القضاء:

وفي ذي القعدة 7 هـ خرج النبي ﷺ بمن صُدَّ معه في الحديبية، ليقضي عمرته، وساق معه الهدى ستين بدنة، وأخرج معه السلاح حذرًا من غدر قريش. ولمّا حان وقت دخوله مكّة، خرج أهلوها كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت، وأدى المسلمون عمرتهم وقفلوا راجعين إلى المدينة.

وفي هذه السنة أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن أبي طلحة.

كانت في جمادى الأولى للسنة الثامنة من الهجرة، و«مؤتة» بلدة قرب مدينة الكرك في الأردن، وكان سبب الغزوة أنَّ الرسول ﷺ كان قد أرسل الحارث بن عمير الأزدي ﷺ بكتاب إلى أمير بُصرى من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني يدعو فيه إلى الإسلام، فلما نزل الحارث بن عمير الأزدي بمؤتة قتله أحد الأمراء العرب الغساسنة التابعين لقيصر الروم.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فجهز لهم جيشاً من المسلمين عدته ثلاثة آلاف، وأمر عليهم زيد بن حارثة، وأوصاهم إن أصيب زيد فليؤمروا جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فليؤمروا عليهم عبد الله بن رواحة، فسار الجيش حتى وصل إلى معان جنوب الأردن، فبلغهم أن هرقل قد جمع لهم جمعاً عظيماً جداً، ونزل في مآب من أرض البلقاء، وكان جيش الروم مؤلفاً منهم ومن العرب المتنصرة، فتشاور المسلمون فيما بينهم، ورأوا أن يطلبوا من الرسول مدداً، أو يأمرهم بأمر آخر فيمضوا له، فكان رأي عبد الله بن رواحة أن يمشوا للقتال فوافقه الناس على خوض المعركة.

وابتداً القتال، فقاتل زيد حتى قُتل، ثم استلم اللواء بعده جعفر، فقاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره، ففُطعت يساره، فاحتضن اللواء حتى قُتل ﷺ، ووُجد فيه بضعة وسبعون جرحاً ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قُتل، ثم اتفق المسلمون على إمرة خالد بن الوليد للجيش -وكانت هذه أول معركة يحضرها في الإسلام- فما زال يستعمل

دهاءه الحربي حتى أنقذ الجيش الإسلامي من الفناء، حيث تراجع نحو الصحراء حتى ظنه الرومان ومن معهم أنه يريد أن يستدرجهم لكمين في الصحراء نُصب لهم بمدد من رسول الله ﷺ، فراجع جيش الروم واستطاع خالد أن يرجع بالجيش سالمًا إلى المدينة.

وقد سُميت هذه المعركة بالغزوة وإن لم يحضرها رسول الله ﷺ، لكثرة المحاربين فيها، حيث بلغوا ثلاثة آلاف. ولأن جيش تلك المعركة انطلق بأمر النبي ﷺ وإشرافه المباشر، وكانت الملائكة تنقل خبرها أولًا بأول للنبي ﷺ.

وقد أطلق رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد في هذه المعركة: (سيف الله).

غزوة الفتح:

وهي فتح مكة، وكانت في رمضان للسنة الثامنة من الهجرة. وكان سببها نقض قريش العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ في الحديبية، وذلك أن بني بكر كانت قد دخلت في حلف قريش وبني خزاعة قد دخلت في حلف النبي ﷺ، فقاتلت بنو بكر خزاعة وقتلوهم حتى ألجؤوهم إلى الحرم وقتلوهم فيه، وعاونتها قريش بالسلاح والرجال خفية، وقدم عليه عمرو بن سالم الخزاعي يناشده النصر بما بينهم من حلف وإسلام ذاكراً ما فعلته بنو بكر وقريش بهم.

فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ» نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ، ثُمَّ عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنَانٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

وعلى إثر ذلك أرسل النبي ﷺ إلى قريش يخبرها بين ثلاث، إما أن يدفعوا دية القتلى من خزاعة، وإما أن يتبرؤوا من حلف بني نفاثة، وإما أن ينبذ العهد إليهم ويكونوا في حل من قتالهم، فاختارت قريش خيار الحرب.

فأمر النبي ﷺ أصحابه بالجد والتجهيز للغزو، وأخذ في جهازه ﷺ وأخفى وجهته، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَحْبَارَ عَنْ قَرِيشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا فِي بِلَادِهَا». فَتَجَهَّزَ النَّاسُ.

فسار إليهم رسول الله ﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان، وكان عدد المسلمين حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف، ثم انضم إليهم في الطريق عدد من قبائل العرب، وسار أمام النبي ﷺ الزبير بن العوام في مائتين من المسلمين، ولما بلغ النبي ﷺ قديداً عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

وفي «مَرَّ الظهران» عثر حرس رسول الله على أبي سفيان واثنين معه، فأسروهم وجاءوا بهم إلى النبي ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فتقدم العباس -الذي لقي الرسول في الطريق مسلماً مهاجراً إلى المدينة وانضم إلى الجيش- وقال للنبي ﷺ: إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ رَجُلٌ يَحِبُّ الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا يَفْتَخِرَ بِهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ».

ثم وصل الجيش إلى مكة، فأعلن منادي الرسول ﷺ: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»، واستثنى من ذلك خمسة عشر رجلاً عظمت جريرتهم في حق الإسلام ورسوله، ثم دخل رسول الله مكة

وهو راكب راحلته، مُنحِنٍ على الرحل، حتى لتكاد جبهته تمس قُتب الراحلة شكرًا لله ﷺ على هذا الفتح الأكبر، وأمر ﷺ المسلمين أن يكفوا أيديهم وألا يقتلوا إلا من قاتلهم.

ثم طاف الرسول بالبيت، وطلب مفتاح الكعبة فأخذه ودخل الكعبة فصلى بها، وأزال ما حولها من أصنام بلغت ثلاثمائة وستين، ثم وقف على بابها وقريش تنظر ما هو فاعل بها، فقال فيما قال ساعته: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟» قالوا خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال رسول الله ﷺ: «أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ ﷺ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92] اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»، فخرجوا كأنما نُشروا من القبور فدخلوا في الإسلام.

وجاء النبي ﷺ بمفتاح الكعبة ورده على عثمان بن طلحة، وقال: «خَذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزَعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ».

ثم اجتمع النَّاسُ حول الصفا ليبياعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس إليهم الرسول ﷺ على الصفا، وأخذ بيعتهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، بايع الرجال أولاً، ثم النساء، ولم يصافح واحدة منهن، وكان فيمن بايعهنَّ هند زوجة أبي سفيان التي أهدر الرسول ﷺ دمها يوم الفتح، فلما علم بيعتها، عفا عنها.

وفي يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بلالاً ؓ أن يؤذن لصلاة الظهر على ظهر الكعبة، فاستعظم ذلك الحاضرون من قريش ممن لم يسلموا بعد.

كانت غزوة حنين، وتسمى هوازن أيضًا، في شوال من السنة الثامنة من الهجرة، حيث فتح الله تعالى على نبيه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، رأت هوازن وثقيف أنه ليس شيء دونهما يمنع النبي ﷺ من غزوهما، فسعى أشرافهما إلى بعضهم بعضًا وعزموا على المسير إلى النبي ﷺ وغزوه.

فأجمعت هوازن أمرها وقام مالك بن عوف النصري ومعه ثقيف كلها والعديد من قبائل العرب ممن لم يسلموا بعد، خرجوا بنسائهم وذرائهم وأموالهم حتى أخرجوا معهم الشاة والغنم، وخرج معهم دريد بن الصمة وهو شيخ مجرب خرج مشيرًا عليهم، وكان قد انتقد خروجهم بنسائهم وذرائهم وأموالهم، فلم يطيعوه.

وكان قد وصل إلى النبي ﷺ ما عزمت عليه هوازن، فأرسل عبد الله بن أبي حدرد ﷺ يأتيه بخبر القوم فدخل فيهم وعاد مؤكدًا ما عزموا عليه، فأجمع النبي ﷺ المسير واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد أميرًا عليها ومعاذ معلمًا لأهلها، وخرج معه المهاجرون والأنصار ومسلمة الفتح، فكان عدد جيشه ﷺ اثني عشر ألفًا، وقيل: أكثر من ذلك، فقال رجل: لن نُغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ.

وسار رسول الله ﷺ والجيش مستقبليين وادي حنين، وله مضايق وشعاب وخطوط، وقد ينحدرون فيه انحدارًا في عماية الصبح، وكان قد سبق إليه المشركون وقد كمنوا في شعابه ومضايقه وكانوا رماة، فما شعروا إلا والكتائب قد خرجت إليهم يحملون عليهم حملة رجل واحد فانهزمت مقدمة الجيش وولت وكان أغلبهم من

مسلمة الفتح وتبعهم النَّاسُ منهزمين، وفي هذه الأثناء أخذ النَّبي ﷺ ذات اليمين، وهو يدعو المنهزمين إليه، فما انتبهوا وهو على بغلته الشهباء والعباس أخذ بلجامها وأبو سفيان بركابها والنَّبي ﷺ يركض بها قبل الكفار مسرعًا، وهو يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁽¹⁾.

وأمر ﷺ العباس، وكان رجلًا صيتًا، أن ينادي يا معشر الأنصار يا أصحاب السُّمُرة يا أصحاب سورة البقرة، فجعل الصحابة يرجعون إلى النَّبي ﷺ قائلين: (يا لبيك يا لبيك)، فشدوا على القوم وصبروا لهم فتكاثر المؤمنون حتى استطاعوا أن يعيدوا الكرة، فاندحر المشركون وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وبلغت غنائم العدو مبلغًا عظيمًا، فرَّقها النَّبي ﷺ أولًا على المؤلفة قلوبهم من حديثي الإسلام، ولم يعط منها الأنصار شيئًا اعتمادًا على إيمانهم وصدق إسلامهم.

وقد استُشهد في هذه الغزوة عدد من الصحابة منهم أبو عامر الأشعري، وأيمن بن عبيد الله وابن أم أيمن وغيرهم. وقد قتل الله تعالى من المشركين قرابة السبعين كان منهم دريد بن الصمة.

وكانت هذه الغزوة آخر معركة ذات شأن بين الإسلام والمشركين، لم يلبث العرب من بعدها أن كسروا الأصنام ودخلوا في دين الإسلام.

غزوة الطائف:

سار ﷺ بمن معه إلى الطائف، ليجهز على بقية ثقيف، ومن تجمَّع معهم من هوازن، وجعل على مقدمته خالد بن الوليد. ولما

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (2709).

وصل المسلمون إلى الطائف وجدوا الأعداء قد تحصَّنوا به، وأدخلوا معهم قوت سنتهم. فعسكر المسلمون قريب الحصن، فرماهم المشركون بالنبل رميًا شديدًا حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات، مات منهم اثنا عشر رجلًا، واستمرَّ الحصار ثمانية عشر يومًا، كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالمبارزة فلم يجبه أحد، وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف: لا ينزل إليك منَّا أحد. ولكن نقيم في حصننا، فإنَّ فيه من الطعام ما يكفيننا سنين، فإن أقمتم حتى يفنى هذا الطعام خرجنا إليك بأسياقنا جميعًا حتى نموت عن آخرنا.

فأمر النبي ﷺ بأن يُنصب عليهم المنجنيق فنصب، ودخل جمع من الأصحاب تحت دبابتين لينقبوا الحصن، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوههم.

فأمر ﷺ أن تُقطع أعنابهم ونخيلهم، فقطع المسلمون فيها قطعًا ذريعًا، فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم، فقال: أدعها لله وللرحم.

ثم أمر من ينادي بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن، فخرج إليه بضعة عشر رجلًا. ولما رأى عليه الصلاة والسلام أن تمنع ثقيف شديد، وأن الفتحة لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام، فقال ﷺ: (يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمتم أخذته وأن تركته لم يضرك)، فأمر ﷺ بالرحيل.

أحداث السنة التاسعة

غزوة تبوك:

تعد آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ كان هدفها قتال الروم ومن تحالف معهم لقتال المسلمين، وانتصر المسلمون فيها. وتُسمى غزوة العسرة، وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة. و(تبوك) موضع شمال الحجاز على الحدود الشمالية في السعودية.

وسببها أنَّ الروم قد جمعت جموعًا كثيرة بالشام ضمت قبائل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وهي من نصارى العرب، وكان قصد هرقل من ذلك الهجوم على المدينة والقضاء على الدولة الناشئة في جزيرة العرب التي أخذت أخبارها وأخبار انتصاراتها تثير جزع هرقل وخوفه، فندب رسول الله النَّاس للخروج، وكان الوقت وقت عسر شديد وحر شديد، فخرج المؤمنون الصادقون عن طيب نفس، وتخلف ثلاثة منهم، وندب رسول الله ﷺ الأغنياء لتجهيز جيش العسرة، قائلًا: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»⁽¹⁾، فاستجاب الصحابة لندائه، وضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء.

واستغل المنافقون هذه المواقف المشرفة للسخرية من صدقات الفقراء، والتعريض بنوايا الأغنياء، وقد كشف القرآن عن خباياهم فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79].

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الوصايا، باب: إذا وقف أرضًا أو بئرًا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم (2626).

كما حاولوا أن يصدّوا النَّاسَ عن الخروج، بالترهيب من لقاء العدو تارةً، والترغيب في الجلوس والإخلاق إلى الراحة تارةً أخرى، خصوصاً أن الغزوة كانت في وقت شدّة الحرّ وطيب الثمر.

واجتمع لرسول الله ﷺ ثلاثون ألف مقاتل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من أبناء القبائل العربيّة، ومن الخيل عشرة آلاف، ودفع باللواء إلى أبي بكر الصديق ؓ.

واستخلف ﷺ علي بن أبي طالب ؓ ليرعى أهله، فشقّ عليه أن تفوته هذه الغزوة، فذهب إلى النَّبي ﷺ يستأذنه في الخروج، فقال له ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»⁽¹⁾.

وجاء عدد من الفقراء إلى النَّبي ﷺ يطلبون منه أن يعينهم بحملهم إلى الجهاد، والنَّبي ﷺ يعتذر بأنّه لا يجد ما يحملهم عليه من الدوابّ، فانصرفوا وقد فاضت أعينهم أسفاً على ما فاتهم من شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ، فخلّد الله ذكرهم إلى يوم القيامة، وأنزل فيهم قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: 91-92]، وكانت رغبتهم الصادقة في الخروج سبباً لأن يكتب الله لهم الأجر كاملاً، فقد جاء

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب: مناقب علي بن أبي طالب، رقم (3503). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (2404)، واللفظ له.

عن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خُلَفْنَا، مَا سَلَكَنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»⁽¹⁾.

أما المنافقون فقد تخلف منهم بضعة وثمانون رجلًا، وادَّعوا الأعذار الكاذبة، فمنهم من اعتذر بعدم القدرة على السفر، ومنهم من اعتذر بقلَّة المتاع، ومنهم من اعتذر بشدَّة الحرِّ، ومنهم من اعتذر بإعجابه بالنساء، وخوف الفتنة بنساء الروم، فقبل النبي ﷺ أعذارهم، وأنزل الله آياتٍ في سورة التوبة تفضح أمرهم، وتكشف حقيقة كذبهم، وتنذرهم بالعذاب الأليم.

وبدأت المعاناة بسبب نقص المياه، وشدَّة الحرارة، وقلَّة الرواحل، حتى إن البعير الواحد كان يتناوب عليه الجماعة من الرجال، واضطرَّ بعضهم إلى أكل أوراق الشجر ونحر الإبل ليشربوا ما في بطونها، وبعد أن بلغ بهم الجهد مبلغًا عظيمًا شكوا ذلك لرسول الله ﷺ، فدعا ربَّه بنزول المطر، ولم يكد ينتهي من دعائه حتى أمطرت السماء وارتوى النَّاسُ، وكانت هذه المعجزة تثبيتًا للمؤمنين وتخفيفًا لمعاناتهم.

وكان ممن تخلف عن الغزو في أوَّل الأمر أبو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه، حيث لم يستطع أن يحمل نفسه على الخروج، وفي يومٍ من الأيام دخل بستانًا له، ورأى زوجتيه وهما تعدَّان له المكان الظليل والماء البارد، فعاتب نفسه كيف يجلس في الظلِّ والنعيم والرسول ﷺ يعاني شدَّة الحرِّ ومشقَّة الطريق؟ فندم وأخذ سلاحه وركب

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، رقم (2839).

دابَّته، حتى أدرك النَّبِيَّ ﷺ في تبوك، وذهب إليه معتذراً، فعاتبه النَّبِيَّ ﷺ على ما كان منه، ثم عفا عنه ودعا له بخير.

وعندما وصل الجيش إلى تبوك، لم يجدوا أثراً للروم أو القبائل الموالية، فبعث النَّبِيَّ ﷺ سريةً بقيادة خالد بن الوليد ؓ إلى دومة الجندل، وغنموا عدداً كبيراً من المتاع والأنعام، واستطاعوا أن يأسروا ملكها أكيدر بن كندة، وأتوا به إلى النَّبِيَّ ﷺ، فصالحه على دفع الجزية، ثم أطلق سراحه.

ومكث النَّبِيَّ ﷺ في تبوك عشرين يوماً، يستقبل الوفود التي جاءت للمصالحة ودفع الجزية.

وبعد أن تحقَّق المقصود من الغزو، عاد الجيش الإسلامي إلى المدينة، فلما اقترب منها خرجت جموع النساء والأطفال لاستقبال النَّبِيَّ ﷺ والاطمئنان على سلامته، ثم توجه النَّبِيَّ ﷺ إلى مسجده وصلى فيه ركعتين، ثم جلس مع النَّاس، وجاءه المنافقون يعتذرون إليه، فقبل أعذارهم وأوكل سرائرهم إلى الله، وحضر إليه ثلاثة من الذين تخلَّفوا عن المعركة، وهم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ؓ من غير عذر، فعاقبهم النَّبِيَّ ﷺ بأن نهى النَّاس عن مخالطتهم والكلام معهم، حتى أنزل الله ﷻ توبتهم في كتابه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

حج أبي بكر ؓ بالمسلمين:

وفي أخريات ذي القعدة أرسل ﷺ أبا بكر ؓ ليحجَّ بالنَّاس.

أحداث السنة العاشرة

حجة الوداع:

في السنة العاشرة حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ بالنَّاسِ حَجَّةً ودَّعَ فيها المسلمين، ولم يحج غيرها، وخرج ﷺ يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة. وولَّى على المدينة أبا دجانة الأنصاري ؓ، وكان مع الرسول ﷺ جمع عظيم يبلغ تسعين ألفاً.

وفي التاسع منه توجَّه إلى عرفة، وهناك خطب خطبته الشريفة التي بيَّن فيها الدِّين كله أسه وفرعه.

وفي هذا اليوم امتنَّ الله على المؤمنين بقوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ثم إنَّه ﷺ أدَّى مناسك الحجِّ من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف، وبعد أن أقام بمكَّة عشرة أيام قفل إلى المدينة.

عام الوفود:

في هذه السنة والتي قبلها كانت وفود العرب تتقاطر على رسول الله ﷺ ليبايعوه على الإسلام يقدمون أفواجا، وكان من أهم هذه الوفود:

وفد نصارى نجران، وكانوا ستين راكباً، دعاهم النَّبِيُّ ﷺ للدخول في الإسلام فامتنعوا ورضوا بإعطاء الجزية، ثم قالوا: أرسل معنا أميناً، فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ؓ، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة.

ومن الوفود وفد عبد القيس، وهي قبيلة كبيرة يسكن أهلها
البحرين شرق الجزيرة العربية، وينسبون إلى عبد القيس بن أفسى،
فلما أتوا ورأوا النبي ﷺ رموا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد،
وتبادروا إلى رسول الله يسلمون عليه.

فمكثوا عند النبي ﷺ يتعلمون من الأحكام ما يخص أحوالهم ثم
رجعوا إلى ديارهم.

ومن الوفود وفد بني حنيفة، وقد أسلموا وعادوا إلى ديارهم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

السنة الحادية عشرة

سرية أسامة بن زيد:

لأربع ليالٍ بقين من صفر جهَّز النبي ﷺ جيشًا برئاسة أسامة بن زيد ؓ إلى منطقة نحو البلقاء من أرض الشام، حيث قُتل زيد بن حارثة والد أسامة. وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ؓ.

ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى ﷺ، لأنَّ المرض بدأه فاختره الله ﷻ.

وفاة النَّبي ﷺ:

تُوفي النَّبي ﷺ في يوم الاثنين من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة في المدينة المنورة، وقد تُوفي النَّبي ﷺ وعمره ثلاثة وستون عامًا، بعد مرضٍ أصابه، وقد أوصى الرسول ﷺ قبل وفاته بالإحسان إلى الأنصار والتجاوز عنهم، وأوصى بالصلاة فقال ﷺ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»⁽¹⁾.

وأوكلَ إمامةَ المسلمين في صلاتهم في أثناء مرضه لأبي بكر الصديق ؓ.

وأخيرًا يرتحل ﷺ إلى ربه، بعد أن أدَّى رسالته على أكمل وجه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، بأبي وأمي أنت يا رسول الله.

فلما أشيع عن وفاة الرسول ﷺ اضطرب الصحابة ؓ جميعًا لهول الكارثة، وزلزلت المدينة زلزالها، وطاشت عقول كثير من كبار

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (585)، ج 2 ص 24.

الصحابة والسابقين إلى الإسلام، فمنهم من عقل لسانه، ومنهم من أقعد عن الحركة، ومنهم، وهو عمر، مَنْ شَهَرَ سيفه ينهى النَّاسَ أَنْ يقولوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مات، ويزعم أَنَّهُ غاب، وسيرجع إليهم، ولكنَّ أبا بكر ؓ وحده هو الذي كان ثابت الجأش، فدخل على رسول الله ﷺ، وهو مُسَجًى على فراشه، فقبله وقال له: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حيًّا وميتًا! أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا، يا رسول الله اذكرنا عند ربك).

ثم خرج أبو بكر ؓ إلى النَّاسِ، فخطب فيهم وقال: (أيها النَّاسُ! من كان يعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

فلما تلاها أبو بكر ؓ أفاقوا من هَوَلِ الصدمة، وكأنَّهم لم يسمعوها من قبل، قال أبو هريرة ؓ: قال عمر ؓ: (فوالله ما هو إلا أن سمعت أنَّ أبا بكر ؓ تلاها فعقرت -أي: دُهِشت وتحيّرت- حتى وقعت إلى الأرض وما تحملني رجلاي، وعرفت أنَّ رسول الله ﷺ قد مات).

نظر الشيخ إلى أعين الطلاب وإذا بها قد اغرورقت بالدمع ورفع يديه إلى السماء وأخذ بالدعاء لهذه القلوب المتعطشة للعلم، وختم مجلسه بدعاء خاتمة المجلس وبسورة العصر، ونهض.

المجلس السادس

خلق المسلم

افتتح الشيخ مجلسه السادس بحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... ثم قال: يدور مجلسنا السادس حول أخلاق المسلم في حياته مع الله ومع الناس... وأترك لكم المجال لتطرحوا ما شئتم من الأسئلة... ونذهب إلى الخلق الأول

الخلق الأول

الصدق

الصدق منزلته عظيمة، ليس في دين الإسلام فقط، بل في جميع الأديان، لا لأنه خُلِق من الأخلاق الحميدة فحسب، بل لأنه أصل الإيمان المقبول عند الله ﷻ، وهو أساس النجاة من عذاب الله ﷻ، وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين.

تعريف الصدق:

الصدق: مأخوذ في اللغة من مادة (ص د ق) التي تدلُّ على قوَّة في الشَّيء قولاً أو غير قول.

وعرفه العلماء: بأنه «مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً».

مكانة الصدق:

وقد تضافرت الأدلة الدالة على علو مكانة وشأن الصدق، ومن ذلك:

1 - الصدق من صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ

اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل

عمران: 95]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

[النساء: 122].

2 - من أعظم صفات الرسل الصدق، وكيف لا يتصفون بهذه

الصفة وهم المبلَّغون عن الله وحيه، والمرسلون بشرعه إلى خلقه! وقد امتدح الله تعالى أنبياءه باتصافهم بالصدق

فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا

نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقال ﷺ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ

إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]، وقال

ﷺ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾

[مريم: 56]. وقد وُصف النبي محمد ﷺ بالصادق الأمين،

وهذا ما عرفته قريش منه قبل البعثة.

3 - الصدق أساس الإيمان، وركنه الركين، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله ﷻ، وعليه يترتب الأجر والثواب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 119]. لذا كان الصدق الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُوتِمِنَ خَانَ»⁽¹⁾.

4 - ولأهمية الصدق في الإسلام قد أمر به النبي ﷺ في بداية الدعوة، ولذلك لما سأل هرقل أبا سفيان وكان مشركًا، فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ قال أبو سفيان: (اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ)⁽²⁾.

ثمار الصدق:

وإذا تحرى المسلم الصدق أثمر في حياته وأخراه ثمارًا طيبة، منها:

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم (33). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (59).

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (7).

1 - وَعَدَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِأَعْظَمِ الثَّوَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]. وقال ﷺ: ﴿قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 15-17].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»⁽¹⁾. وقد سئل النبي ﷺ مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ﷺ: «الصَّدَقُ»⁽²⁾.

ولا ينفع المسلم يوم القيامة، ولا ينجيه من عذاب الله مثل الصدق، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، رقم (5743). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب البر، باب قبح الكذب، وحسن الصدق، وفضله، رقم (2607).

(2) أخرجه أحمد، المسند، رقم (6641)، ج 11 ص 216، قال محققوه: صحيح لغيره.

أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿

[المائدة: 119].

2 - الصدق يورث الطمأنينة والسكينة في القلب، وينفي

عنه التردد والريبة والاضطراب، التي لا توجد إلا في حالات

الشك وضعف الصدق أو عدمه، فعن الحسن بن علي - رضي

الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا

يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيْبَةٌ»⁽¹⁾.

3 - الصدق طريق البر والجنة والصدقية: كما جاء في

الحديث عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ

الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ

الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي

إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ

لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»⁽²⁾.

بهذا نكون قد عرّفنا الصدق وبيّنا أهميته وثماره على المسلم،

فهل من أسئلة أو إضافات؟

أحمد: هل الصدق مقتصر على الكلام أم أَنَّ هناك مجالات أخرى

للصدق لا نعلمها؟

(1) أخرجه أحمد، المسند، رقم (1723)، ج 3 ص 248-249، قال محققوه: إسناده صحيح.

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، رقم (5743). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب البر، باب قبح الكذب، وحسن الصدق، وفضله، رقم (2607).

الشيخ: سؤال جميل كدت أغفل الحديث عنه، فجزاك الله خيرًا
أن سألته.

يا أبنائي إنَّ للصدق مجالات تشمل تصرفات الإنسان كلها،
وهذه المجالات:

1 - صدق اللسان: وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها، فمن
حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه
فهو صادق.

2 - صدق النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو ألا
يكون له باعث على العمل إلا الله تعالى، فإن مازج النية ما
يشوبها من حظوظ النفس بطل صدق النية.

3 - الصدق في الأعمال والأفعال: وهو أن يجتهد في العمل
حتى يؤديه على أكمل وجه، سواء كان ذلك العمل من أمور
الدنيا أو الدين.

سمير: هل لك أن تذكر لنا شيئًا من نماذج صدق الصادقين:

قال الشيخ: لقد كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام
والصالحين من بعدهم خير قدوة وأسوة لنا في هذا الخلق، فإليك
بعض نماذج صدقهم:

لقد كان رسول الله ﷺ أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علمًا
وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك
أحد منهم، بحيث لا يُدعى بينهم إلا بالأمين محمد، ولهذا لما سأل
هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة
رسول الله ﷺ، كان فيما قال له: «أو كنتم تتهمونه بالكذب قبل

أن يقول ما قال؟» قال: لا. فقال هرقل: «فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله»⁽¹⁾.

كان صاحبه أبو ذرٍّ  صادق اللّهجة، قال عنه : «ما أقلتِ الغبراء ولا أظلتِ الخضراءُ من رجلٍ أصدق لهجةً من أبي ذرٍّ»⁽²⁾.

وهذا نموذج من علمائنا ومشايخنا وهو إمامنا الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله-، الذي يقول: «بنيتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجتُ من مكّة إلى بغدادَ أطلبُ العلمَ، فأعطتني أمي أربعين دينارًا وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرضَ همدانَ خرج علينا عربٌّ، فأخذوا القافلةَ فمرَّ واحدٌ منهم وقال: ما معك؟ قلتُ: أربعون دينارًا، فظنَّ أني أهزأُ به فتركني، فرآني رجلٌ آخرُ فقال: ما معك؟ فأخبرته فأخذني إلى كبيرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق. قلتُ: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخونَ عهدَها! فصاح ومزق ثيابه، وقال: أنت تخاف أن تخونَ عهدَ أمك، وأنا لا أخاف أن أخونَ عهدَ الله!

ثم أمر بردَّ ما أخذه من القافلة، وقال: أنا تائبٌ لله على يدك! فقال من معه: أنت كبيرهم في قطع الطريقِ وأنت اليومَ كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق!»⁽³⁾.

هذه نماذج من صدق الصادقين فاجعلوهم لكم قدوة أيها التلاميذ، وأنقل معكم إلى الخلق الثاني.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، رقم (7).

(2) أخرجه أحمد، المسند، رقم (6519)، ج 11 ص 70، قال محققوه: حسن لغيره.

(3) عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (مصر: المطبعة الكاستلية، 1283هـ)، ج 1 ص 145.

الخلق الثاني

سلامة الصدر

من أهم مميزات أمة الإسلام التماسك والترابط المبني على الأخوة في الله ﷻ: قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

ولقد أثنى الله في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة على أهل المدينة من الأنصار بسبب سلامة صدورهم، ومجدهم ﷻ لاتصافهم بهذه الصفة، يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وإذا كانت هذه صفة سلف الأمة كذلك وصف سبحانه من جاؤوا من بعدهم بالبعد عن الغل والتزام سبيل السلف في سلامة الصدر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

إنَّ كثيرًا من الناس اليوم يتورع عن أكل الحرام أو النظر الحرام ويترك قلبه يرتع في مهاوي الحقد والضغينة والحسد والغل.

تعريف سلامة الصدر:

سلامة الصدر تعني: خلو القلب من الغل والحقد والحسد على إخوانه المسلمين، وأن يكون قلبه تجاههم سليمًا.

ومما يدل على أهمية سلامة الصدر:

1 - سلامة الصدر صفة من صفات أهل الجنة: قال تعالى

فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: 43].

وفي وصف أول زمرة تلج الجنة قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ
زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ،
أَنِيتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،
وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مَخُ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ
الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ
وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»⁽¹⁾.

2 - سلامة الصدر من أفضل الأعمال، قال ابن رجب - رحمه

الله -: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّحْنَاءِ
كُلِّهَا... وقد وصف الله تعالى المؤمنين عموماً بأنهم

يقولون: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10]».

وسلامة الصدر خصلة عظيمة يغفل عن معرفة ثمارها

كثير من المسلمين، التي منها:

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإجارة، باب: ما جاء في صفة الجنة
وأنها مخلوقة، رقم (3073).

1 - الفلاح والنجاة في الآخرة: فلا ينجو يوم القيامة إلا

صاحب القلب السليم، كما قال ربنا ﷺ حكاية عن إبراهيم
ﷺ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 87-89]. والمراد
بالقلب السليم: ذلك القلب الذي سلم من الشرك كبيره
وصغيره، وسلم من النفاق والبدعة، ومن الغل والحسد على
إخوانه المؤمنين.

وجاء في الحديث عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»،
فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي
يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ
مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ
أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى.

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ الرجل
فَقَالَ: «إِنِّي لَأَحْيَتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ
تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ». قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسُ ﷺ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي
الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى
فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ:
«غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا» فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَدْتُ أَنْ
أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا
هَجْرٌ ثُمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: «يَطْلُعُ
عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ فَأَرَدْتُ

أَنْ أَوْيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ - واسمه سعد كما في رواية البزار: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نَطِيقُ⁽¹⁾.

2 - سلامة الصدر سبب في خيرية المسلم وفضله وحب النبي ﷺ له: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ ﷺ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ»⁽²⁾.

3 - وسلامة الصدر سبب في مغفرة الذنوب: يقول النبي ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»⁽³⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (12697)، ج 20 ص 124-125، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) أخرجه ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم (4216)، قال محققه: حديث صحيح.

(3) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم (2565).

عمرو: ما الخلق المضاد لسلامة الصدر وما خطورة ترك هذا الخلق؟

الشيخ: الخلق المضاد لسلامة الصدر الحقد والغل والبغضاء من وسائل الشيطان: يقول ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أُيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»⁽¹⁾، ولهذا فإنَّ دين الإسلام يسعى لعلاج بوارد الجفاء وما يثير البغضاء وينمي الشحناء.

خالد: كما أمتعتنا بنماذج من أخلاق السابقين على الأخلاق الماضية فأمتعنا بأمثلة من حياة الأنبياء والصالحين على هذا الخلق: الشيخ: لقد ضرب لنا نبينا محمد ﷺ وإخوانه الأنبياء وسلف هذه الأمة ﷺ وعلماءؤها أروع الأمثلة في سلامة الصدور ونظافتها من الأحقاد والحسد والضعينة.

1 - فمن حياة نبينا محمد ﷺ، أخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدٍ؟ قَالَ ﷺ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا، رقم (2812).

قَوْمَكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ
لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكَ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ
عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ
أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو
أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ
بِهِ شَيْئًا⁽¹⁾.

وفي مكة لما دخل المسجد الحرام وخطب بأهلها وأعلن فيها
كلمة التوحيد وقضى على الأصنام، فقال ﷺ: «يا معشر قريش ما
ترون أنني فاعل بكم»، قالوا: خيرًا أخ كريم. قال ﷺ: «فإني أقول
لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ
لَكُمْ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء»⁽²⁾.

2 - ومن حياة الصحابة :

فهذا أبو دجانة ﷺ: دخلوا عليه في مرضه ووجهه يتهلل!
فقالوا له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: (ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من
اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا)⁽³⁾.

وابن عباس ؓ: يروى عن ابن عباس أنه قال لرجل شتمه:
(إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال:

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم:
أمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه،
رقم (3059). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي
النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم (1795).

(2) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الاستذكار، تحقيق: سالم عطا،
محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، ج5 ص152.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1 ص243.

- إني لآتي على الآية في كتاب الله ﷻ فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم.

- وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا.

- وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي من سائمة! (1).

3 - وأما من التابعين وعلماء الأمة:

فهذا علي بن الحسين ﷺ: يقول أبو يعقوب المدني: «كان بين حسن بن الحسن وبين ابن عمه علي بن الحسين شيء، فما ترك حسن شيئاً إلا قاله، وعليٌّ ساكت، فذهب حسن، فلما كان في الليل أتاه علي فخرج، فقال علي: يا بن عمي، إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، السلام عليك، قال فالتزمه حسن وبكى حتى رثى له» (2).

وهذا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: يقول لمجاهد - رحمه الله -: يا مجاهد، ما يقول الناس - يعني لما سقي السم ﷻ -؟ قلت: يقولون: مسحور، قال: ما أنا بمسحور. ثم دعا غلاماً له، فقال: ويحك، ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها، وأن أعتق، قال: هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد (3).

بعد هذه النماذج المباركة نذهب إلى الخلق الثالث...

(1) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، رقم (10621)، ج 10 ص 266.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4 ص 397.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4 ص 453.

الخلق الثالث

الحياء

من أخلاق المسلم بينه وبين الله وبينه وبين نفسه وبينه وبين المخلوقات، خلق الحياء.

تعريف الحياء:

الحياء في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوُّف ما يعاب به ويذم. واشتقاقه من الحياة.

واصطلاحًا: هو الخلق الذي يبعث ويحمل على ترك القبيح من الصفات والأفعال والأقوال، ويمنع من التقصير في حق الله المتفضل المنعم سبحانه، والتقصير في حق ذي الحق.

فالحياء هنا أشبه بحجر كبير يعترض دربك حينما تهتم النفس الأمانة بالسوء بالمشي في أحوال كل ما هو قبيح وذميم ومرفوض وبذيء.

أهمية الحياء ومكانته:

تظهر أهمية الحياء ومكانته، في النقاط التالية:

- 1 - **الله وصف نفسه بالحياء:** لقد وصف الله نفسه بالحياء، وهو حيَاءٌ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى يَلِيقُ بِهِ ﷻ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾

[البقرة: 26].

وروى سَلْمَانُ ؓ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»⁽¹⁾.

2 - من صفات النَّبِيِّ ﷺ الحياء الشديد، قال أبو سعيد الخدري ؓ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِزْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفَنَاهُ فِي وَجْهِهِ)⁽²⁾.

3 - الله تعالى يحب الحياء: عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»⁽³⁾.

4 - الحياء خلق الإسلام الأعظم: جاء عَنْ أَنَسٍ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»⁽⁴⁾.

5 - الحياء في الإسلام قرين الإيمان وجزؤه: قال النَّبِيُّ ﷺ لرجل من الأنصار حينما مر به وهو يعظ أخاه في الحياء، فقد كان ذلك الرجل كثير الحياء، فهذا رجل من إخوانه

(1) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، رقم (3556). حديث صحيح.

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (3369). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم (2320).

(3) أخرجه أبو داود، السنن، أول كتاب الحمَّام، باب النهي عن التعرِّي، رقم (4012).

(4) أخرجه ابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب الحَيَاءِ، رقم (4182).

يعظه ويحثه على التقليل من هذا الحياء، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة ؓ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽²⁾.

6 - الحياء صفة يحبها الله ﷻ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ لأشج عبد القيس في الحديث الذي قدمته في أول حديثنا هذا، حيث قال له النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ»⁽³⁾.

7 - صفة الحياء من صفات الملائكة، ويدل على ذلك حديث عائشة -رضي الله عنها- في القصة المشهورة لما دخل عثمان على النَّبِيِّ ﷺ وقد كشف النَّبِيُّ ﷺ فخذه أو ساقيه، فالحاصل أن النَّبِيَّ ﷺ سترهما وسوى ثيابه حينما استأذن عليه عثمان، فلما سألته عائشة -رضي الله تعالى عنها- عن ذلك، قال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم (24). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم (36).

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (9). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم (35).

(3) أخرجه ابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب الحلم، رقم (4188).

(4) أخرجه ومسلم، الصحيح المسند، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، رقم (2401).

8 - الحياء من صفات المؤمنين الأبرار الأتقياء والمؤمنات التقيات الحافظات لحدود الله ﷻ، فهذه المرأة بنت ذلك الرجل الصالح الذي كان في مدين حينما جاءت إلى موسى ﷺ تدعوه كيف وصف لنا القرآن مشيتها؟ قال ﷺ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: 25].

ثمرات الحياء:

من ثمرات الحياء وآثاره:

1 - أنه من أسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار: وذلك لعموم الأدلة الدالة على أَنَّ حسن الخلق من أسباب دخول الجنة والحياء منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدْءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»⁽¹⁾.

2 - أنه سببٌ لترك المعاصي: فالحياء يزجر صاحبه عن المعصية ومقارفة ما لا يليق، وبغياب الحياء تتدمر الأخلاق وتُرتكب الفواحش والموبقات، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»⁽²⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (10512)، ج 16 ص 305. والترمذي، الجامع، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحياء، رقم (2009). وابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب الحياء، رقم (4184). حديث صحيح.

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، رقم (5769).

3 - أنه سبب لمحبة الله ﷻ: فالله حيي ستير، يحب أهل الحياء، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»⁽¹⁾.

بهذا ينتهي كلامي عن الحياء فهل من استفسار؟

علي: قلت شيخنا في أول كلامك إن الحياء خلق بين العبد وربّه وبين العبد وباقي الخلق، فكيف يكون ذلك؟

الشيخ: الحياء يُقسم إلى أربعة أقسام، هي:

1 - الحياء من الله: وذلك حين يستقر في نفس العبد أن الله يراه، وأنه ﷻ معه في كل حين، فإنه يستحي من الله أن يراه مقصرًا في فريضة، أو مرتكبًا لمعصية.

2 - الحياء من الملائكة: فمن المعلوم أن الله قد جعل معنا ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار. وهناك ملائكة يصاحبون أهل الطاعات، كالخارج في طلب العلم، والمجتمعين على مجالس الذكر، والزائر للمريض، وغير ذلك. وأيضًا هناك ملائكة لا يفارقوننا وهم الحفظة والكتبة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَغْلُمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10-12].
فالحياء من الملائكة يكون بالبعد عن المعاصي والقبائح، وإكرامهم عن مجالس الخنا، وأقوال السوء، والأفعال المذمومة المستقبحة.

3 - الحياء من الناس: فإن العبد إذا استحيا من ربه حقّ الحياء واستحي من نفسه انعكس ذلك عليه بالتأدب

(1) أخرجه أبو داود، السنن، أول كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، رقم (4012).

والتخلق بأخلاق النفس الكريمة على ممارساته، وسلوكه اليومي، وعلاقاته مع الناس الآخرين، فيجتنب عمل القبيح أمامهم، كما اجتنب القبيح أمام الله، ويكون قريباً من الصدق والاستقامة مع الله ﷻ ومع النفس ومع الناس.

4 - **الحياء من النفس:** من استحيا من الناس ولم يستح من نفسه، فنفسه أخس عنده من غيره، فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحداً من نفسه كأنه يراه، ويكون هذا الحياء بالعفة وصيانة الخلوات وحسن السريرة. فإذا كبرت عند العبد نفسه فسيكون استحياءه منها أعظم من استحيائه من غيره.

وهذا أكمل ما يكون من الحياء. فإنَّ العبد إذا استحى من نفسه فهو أن يستحيي من غيره أجدر.

سعيد: هل من نماذج على الحياء من سير الصالحين؟

الشيخ: لأن خلق الحياء صفة ألصق بالمرأة أسوق لكم قصتين لصحابيتين من بيت النبوة:

1 - أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-:

قالت: كنتُ أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي. فأقول: إنما هو زوجي وأبي. فلما دُفن عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليّ ثيابي حياءً من عمر (1).

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (25660)، ج 42 ص 440-441. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

2 - فاطمة الزهراء - رضي الله عنها:-

لما مرضت فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - مرض الموت الذي تُوفيت فيه، دخلت عليها أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - رضي الله عنها - تَعُودُهَا وَتَزُورُهَا فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ: (إِنِّي أَسْتَقْبِحُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ النَّوْبُ، فَيَصِفُّهَا)، أَي: عِنْدَمَا تَمُوتُ وَتَوْضَعُ عَلَى الْحِمَالَةِ لِتُؤْخَذَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، قَالَتْ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا أُرِيكَ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِالْحَبَشَةِ؟ فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطْبِيَّةٍ، فَحَنَنْتَهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا نَوْبًا. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: (مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ! إِذَا مِتُّ فَغَسِّلِينِي أَنْتِ وَعَلِيٌّ ، وَلَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ عَلَيَّ). فَلَمَّا تُوفِّيتُ، فَعَلْتَ أَسْمَاءَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «هِيَ أَوَّلُ مَنْ غُطِّي نَعْشُهَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ»⁽¹⁾.

بعد هذه النماذج المضيئة أنتقل بكم إلى الخلق الرابع...

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2 ص 129.

الخلق الرابع

بر الوالدين

من أهم أخلاق الإسلام خلق بر الوالدين فما من حق قرنه الله بعبادته وتوحيده في القرآن الكريم كما فعل بحق الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] وقوله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: 151]. وقال ﷺ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83].

أهمية هذا الخلق:

مما يظهر أهمية هذا الخلق أيضًا:

1 - أَنَّ اللَّهَ خَصَّصَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لِلْبَارِينَ بِوَالِدِهِمْ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»⁽¹⁾.

2 - بر الوالدين من أخلاق الأنبياء التي نوه بها القرآن وأثنى عليهم بها، فهذا نوح عليه السلام يخص والديه بالدعاء بالمغفرة فيما حكاه عنه رب العزة: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (27511)، ج 45 ص 504. وقال محققوه: إسناده حسن.

وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿[نوح: 28].

والبر يقابله البر فقد أثنى الله ﷻ على إسماعيل عليه السلام الذي
قال لأبيه إبراهيم عليه السلام عندما أخبر بالرؤيا التي رأى فيها
أنه يذبحه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿[الصافات: 102]. وكذا
حال عيسى ابن مريم عليه السلام حين قال عنه الله ﷻ: ﴿وَبَرًّا
بِوَالِدَيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿[مريم: 32]. وكذا يحيى
عليه السلام قال عنه ﷻ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿[مريم: 14].

3 - إِنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَأَفْضَلُهَا
بعد الصلاة، فعن عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: سألت
رسول الله ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ
عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ
أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وفي رواية: (قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟) الحديث⁽¹⁾.

بل إن بَرَّ الوالدين مقدم حتى على الجهاد في سبيل
الله، مما يدل على عظيم حق الوالدين، ليعرف المسلمون

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (3890)، ج 7 ص 5. والبخاري، الجامع
الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم (504).
ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل
الأعمال، رقم (139).

فضل والديهم وقدرهما، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ قَالَ: «فَهَلْ مِنْكَ وَالِدٌ أَحَدٌ حَيٌّ» قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»⁽¹⁾. وفي رواية: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال له ﷺ: «أَحْيٌ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»⁽²⁾.

4 - رضا الرب في رضا الوالد: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»⁽³⁾.

5 - عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الإشرار بالله: جاء عن أبي بكرة ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ»، ثَلَاثًا، «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ -أَوْ قَوْلُ الزُّورِ-»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ⁽⁴⁾.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين، وأنها أحق به، رقم (2549).

(2) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (6544)، ج 11 ص 102.

(3) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم (1899) وهو صحيح.

(4) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة، رقم (6521). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (139).

وَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ وَوَأَدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» ⁽¹⁾.

ثمار بر الوالدين:

دلت النصوص الشرعية على ثمرات بر الوالدين منها:

1 - بر الوالدين سبب لدخول الجنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» ⁽²⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ. كَذَاكُمُ الْبِرُّ، كَذَاكُمُ الْبِرُّ» ⁽³⁾. وكان شديد البر بأمه رضي الله عنها.

2 - بر الوالدين منجاة من المصائب وسبب في تفريج الكروب وذهاب الهم: جاء في حديث الثلاثة الذين أواوا إلى الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم أن أحدهم توسل إلى الله ﷻ ببره لوالديه، فقال: «اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم (504). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (87).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ مِنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فلم يدخل الجنة، رقم (2551).

(3) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (24080)، ج 40 ص 96. قال محققوه: إسناده صحيح.

كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا⁽¹⁾، فَنَأَى
بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرْخَ عَلَيْهِمَا⁽²⁾ حَتَّى نَامَا
فَحَابَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ
أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ
أَنْتَظِرُ اسْتِيقَازَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا
غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ
عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ»⁽³⁾.

3 - بر الوالدين يكفر الذنوب، كما جاء عن ابن عمر -رضي
الله عنهما- أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ
أُمٍّ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:
«فَبَرِّهَا»⁽⁴⁾.

4 - سعة الرزق وطول العمر، كما دل على ذلك ما جاء عن
أنس ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ

(1) (لَا أَغْبِقُ) أَي: مَا كُنْتُ أَقْدِمُ عَلَيْهِمَا أَحَدًا فِي شُرْبِ نَصِيبِهِمَا عِشَاءً مِنَ اللَّبَنِ،
وَالْغَبُوقُ شُرْبُ الْعِشَاءِ، وَالصُّبُوحُ شُرْبُ أَوَّلِ النَّهَارِ.

(2) مَعْنَاهُ: إِذَا رَدَدْتَ الْمَاشِيَةَ مِنَ الْمَرْعَى إِلَيْهِمْ، وَإِلَى مَوْضِعِ مَبِيتِهَا، وَهُوَ مُرَاحَتُهَا
بِضَمِّ الْمِيمِ، يُقَالُ: أَرَحْتُ الْمَاشِيَةَ وَرَوَّحْتُهَا بِمَعْنَى.

(3) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، الْجَامِعُ الصَّحِيحُ، كِتَابُ الْإِجَارَةِ، بَابُ مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ
الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مِنْ عَمَلٍ فِي مَالٍ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ،
رَقْمُ (2272). وَكِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ، رَقْمُ (3465). وَمُسْلِمُ،
الصَّحِيحُ الْمُسْنَدُ، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ
بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، رَقْمُ (2743).

(4) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، الْجَامِعُ، أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي
بِرِّ الْخَالَةِ، رَقْمُ (1904).

أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»⁽¹⁾، وبر الوالدين من أعظم صور صلة الرحم.

وما جاء عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقُ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا»⁽²⁾.

سامر: شيخنا ما أجمل النماذج من سير سلفنا الصالح في بر الوالدين؟

الشيخ: لقد ذكر لنا التاريخ نماذج مشرقة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء والصالحين في بر الوالدين، نعرض على بعضها:

1 - أبو هريرة رضي الله عنه: كان من البارين بأمهاتهم المحسنين إليهن فعن أبي مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: «أنه ركب مع أبي هريرة رضي الله عنه إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه! تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً. فتقول: «يا بني! وأنت فجزاك الله خيراً ورضي عنك، كما بررتني كبيراً»⁽³⁾.

2 - أويس بن عامر القرني -رحمه الله-: ذاك رجل أنبأ النبي ﷺ عن سناء منزلته عند الله ﷻ ورسوله ﷺ، كما جاء في الحديث أن عمر رضي الله عنه كان إذا أتى عليه أمداد أهل

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، رقم (1961).

(2) أخرجه ابن ماجه، السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر، رقم (90).

(3) أخرجه البخاري في كتابه: الأدب المفرد، رقم (14)، ص19.

اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس بن عامر، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرَن؟ قال: نعم، قال: كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي⁽¹⁾.

وعن أصبغ بن زيد، قال: إنما منع أويساً أن يقدم على النبي ﷺ بره بأمه.

3 - محمد بن سيرين: قال هشام بن حسان: «حدثني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصَّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوباً اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي»⁽²⁾.

قال الشيخ: بهذا نكون قد تحدثنا عن خمسة أخلاق مهمة، ولا بد أن نتبعها في المجلس القادم ببعض الآداب الإسلامية حتى نرى الاستقامة بادية في تصرفاتكم.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الفضائل، باب من فضائل أويس القرني، رقم (2542).

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ح 4 ص 619.

المجلس السابع

{ الآداب الإسلامية }

في مجلس الشيخ السابع بعد أن حمد الله وصلى على نبيه ﷺ، قال:
في هذا المجلس سنتناول مجموعة من هذه الآداب والسلوكيات
بحسب ما يسمح المجال، بطريقة سرديّة، وأترك لكم الاستفسار
عمّا يغمض عليكم في نهاية المجلس، فنبدأ بعون الله ﷻ بمجموعة
الآداب الأولى، وهي متعلقة بالأكل والشرب.

أولاً- آداب الأكل والشرب

للأكل آداب في الشريعة الإسلامية وهي على أقسام:

أولاً - آداب ما قبل الأكل:

- 1 - غسل اليدين قبل الطّعام.
- 2 - التّسمية قبل الأكل والشرب، روى عُمَرُ بْنُ أَبِي سلمة
-رضي الله عنهما- قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْر رَسُولِ
اللّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيّشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ: «يا غلامُ: سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بيمينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»⁽¹⁾.

ثانيًا- آدابُ في أثناء الأكل:

1 - الأكلُ والشرب باليمين: عن ابنِ عمر -رضي الله عنهما- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشماله، ولا يشربَنَّ بها، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشماله ويشربُ بها»⁽²⁾.

وهذا إن لم يكن له عُذْرٌ، فَإِنْ كان هناك عُذْرٌ يمنعُ الأكل أو الشُّرب باليمين من مريضٍ أو جراحةٍ أو غير ذلك فلا بأس من الأكل بالشُّمال.

2 - الأكلُ مِمَّا يَلِيهِ: لقوله ﷻ لعمر بن أبي سلمة: «يا غلامُ: سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بيمينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»⁽³⁾.

3 - أَكُلِ اللَّقْمَةَ السَّاقِطَةَ: لحديث أنس بن مالك ؓ قال ﷺ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى. وَلْيَأْكُلْهَا. وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ» وَأَمَرْنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقِصْعَةَ⁽⁴⁾. قَالَ ﷻ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم (5061). ومسلم، كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (2022).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (2020).

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم (5061). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم (2022).

(4) مَعْنَاهُ: نَمْسَحُهَا. وَنَتَّبَعُ مَا بَقِيَ فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ.

(5) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، رقم (2034).

4 - **عَدَمُ الْإِتْكَاءِ فِي أَثْناءِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ:** وذلك لقوله ﷺ: «لَا أَكُلُ وَأَنَا مُتَكِيٌّ»⁽¹⁾.

ثالثًا- آدابُ بعد الفراغ من الأكل:

1 - **غسلُ اليد بعد الطَّعام:** تحصُلُ السُّنَّةُ بمُجرَّد الغسل بالماء والصابُون.

2 - **المضمضة بعد الطَّعام:** لما روى بشيرُ بنُ يسارٍ عن سُويد بن النُّعْمان أَنَّهُ أَخْبَرَهُ (أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالصُّهْبَاءِ وَهِيَ عَلَى رَوْحَةٍ مِنْ خَيْبَرٍ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَدَعَا بِطَّعامٍ فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا سَوِيْقًا)⁽²⁾ فَلَاكَ مِنْهُ فَلُكْنَا مَعَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضَمَضَ ثُمَّ صَلَّى وَصَلَّيْنَا وَلَمْ يَتَوَضَّأْ)⁽³⁾.

3 - **الدُّعاءُ للمُضيف:** فقد روى أَنَسُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَجَاءَ بِخَبِيزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»⁽⁴⁾.

4 - **حمد الله بعد الفراغ من الأكل أو الشرب،** فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: الأكل متكئًا، رقم (5084).

(2) السَّوِيْقُ: طعامٌ يُتَّخَذُ مِنْ مَدْقُوقِ الحَنْطَةِ والشَّعِيرِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِانْسِيَاقِهِ فِي الحَلْقِ.

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: السويق، رقم (5075).

(4) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده، رقم (3854). وابن ماجه، السنن، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائمًا، رقم (1747).

الْعَبْدُ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»⁽¹⁾. وعنه رحمته الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽²⁾.

5 - الدعاء بعده: روى ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ»⁽³⁾.

رابعًا- آداب عامّة في الأكل:

1 - عدم ذمّ الطّعام: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ)⁽⁴⁾.

2 - الاعتدال في مقدار ما تأكل من الطّعام وعدم ملء البطن، لحديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه عن النبي

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم (2734).

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، رقم (3458). وابن ماجه، السنن، كتاب الأطعمة، باب ما يقال، إذا فرغ من الطعام، رقم (3285).

(3) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا أكل طعامًا، رقم (3455). وأبو داود، السنن، كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن، رقم (3730).

(4) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: ما عاب النبي ﷺ طعامًا، رقم (3370) ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: لا يعيب الطعام، رقم (2064).

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسَبِ
ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَةَ فَتُلُتْ
لِطَعَامِهِ وَتُلُتْ لِشَرَابِهِ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ»⁽¹⁾.

3 - اجتناب الأكل والشرب في أنية الذهب والفضة، لأنه
محرم، لقول النبي ﷺ: «وَلَا تَشْرَبُوا فِي أْنِيَةِ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ»⁽²⁾.

4 - الأكل مع الجماعة، فعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ
مَعَ الْجَمَاعَةِ»⁽³⁾.

ننتقل إلى المجموعة الثانية من الآداب، وهي الآداب المتعلقة
بطرح السلام ورده.

(1) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في
كراهية كثرة الأكل، رقم (2380). وابن ماجه، السنن، كتاب الأطعمة، باب
الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، رقم (3349).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأطعمة، باب: الأكل في إناء
مفضض، رقم (5110). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب اللباس والزينة، باب:
تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحريز
على الرجل، وإباحته للنساء. وإباحة العلم ونحوه للرجل، ما لم يزد على أربع
أصابع، رقم (2067).

(3) أخرجه ابن ماجه، السنن، كتاب الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام، رقم
(3287).

ثانيًا- آداب السلام

شرع الله لنا تحية نحوي بها بعضنا، تحمل في طياتها قيمة سامية من القيم، وهي قيمة السلام، الذي يقذف في النفس الطمأنينة والراحة، فما إن تلقى أخاك المسلم فتقول له «السلام عليكم»، فيعلم أن لا تريد به إلا السلام والسلامة من كل سوء.

أ- حكم إلقاء السلام وردّه:

إلقاء السلام وطرحه على الآخرين من المسلمين سنة مؤكدة، قال ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ، رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»⁽¹⁾.
وأما رده فقد اتفق أهل العلم على وجوب الرد على من طرح عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: 86].

وإذا سلم رجل على جماعة، فالرد فرض كفاية، فإن رد واحد منهم، سقط الحرج عن الباقيين، ولا إثم، وإن ردوا كلهم فهو أفضل.

ب- صفة السلام:

أكمل ألفاظ السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يليها: السلام عليكم ورحمة الله. يليها: السلام عليكم. ودليل هذا ما ثبت عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليكم، فردّ عليه، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «عشر»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه، فجلس، فقال: «عشرون»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب: الأمر باتّباع الجنائز، رقم (1183).

فردَّ عليه، فجلس، فقال: «ثلاثون»⁽¹⁾. فقوله ﷺ: «عشر»، أي: له عشر حسنات، أو كتب أو حصل له أو ثبت عشر، أو المكتوب له عشر.

ج- صفة الرد:

بين القرآن أن يكون رد التحية بمثلها أو بأحسن منها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: 86]. وقد بين حديث عمران بن حصين ﷺ السابق كيفية ذلك.

د- آداب السلام:

للسلام آداب جليلة بينتها السنة النبوية، ورغبت في تطبيقها وتنفيذها، تتمثل فيما يلي:

1 - تسليم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، فعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يُسَلَّمُ الرَّكَّابُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»⁽²⁾. وفي رواية: «يُسَلَّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»⁽³⁾. وعن فضالة بن عبيد ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُسَلَّمُ الْفَارِسُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَائِمِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أبو داود، السنن، أبواب النوم، باب كيف السلام؟ رقم (5195).

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، رقم (5878).

(3) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، رقم (5877).

(4) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تسليم الراكب على الماشي، رقم (2705). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

2 - طرح السلام برفق ولين وخفض صوت على قوم فيهم نيام: عَنِ الْمِقْدَادِ رضي الله عنه قَالَ: «أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْزَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا». قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ...» (1).

3 - استحباب تكرار السلام ثلاثاً، إذا كان الجمع كثيراً، أو شك في سماع المسلم عليه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا (2).

4 - تعميم السلام على من يعرفه المرء ومن لا يعرفه: عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» (3).

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم (2055).

(2) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم (95).

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام، رقم (12). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم (39).

5 - استحباب السلام عند دخول البيت. وذلك إذا كان مسكوناً، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ» ⁽¹⁾.

فإذا كان البيت خالياً، فقد استحَبَّ بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم أن يسلم الرجل على نفسه إن كان البيت خالياً. عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: (إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ غَيْرَ الْمَسْكُونِ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ) ⁽²⁾.

6 - السلام على القوم عند الخروج من المجلس: فكما أنه يسن السلام عند القدوم على المجلس، فكذلك من السنة أن يلقي السلام عند مفارقة ذلك المجلس. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ» ⁽³⁾.

(1) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر، رقم (2494).

(2) أخرجه البخاري، الأدب المفرد، رقم (1055)، ص 363.

(3) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، رقم (2706). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ثالثاً- آداب النوم

وكذلك للنوم آداب نذكر منها:

1 - عدم النوم قبل العشاء والحديث بعدها: فعن أبي بَرَزَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا⁽¹⁾».

2 - الوضوء قبل النوم، والنوم على الجانب الأيمن، والدعاء: فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»⁽²⁾.

وهذا الحديث تضمن ثلاثة آداب، الوضوء قبل النوم، والنوم على الجانب الأيمن، والدعاء.

3 - نفث الفراش قبل النوم عليه، والتسمية: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ،

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: ما يكره من النوم قبل العشاء، رقم (543).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء، رقم (244).

وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ
أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا
فَاخْضُطَّهَا بِمَا تَخْفِظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»⁽¹⁾.

وهذا الحديث يتضمن من الآداب أن ينفض الإنسان فراشه
خشية أن يكون قد عليه شيء يؤذيه وهو في نهاره غائب
عنه، ثم ذكر الحديث التسمية بأن يقول بسم الله الرحمن
الرحيم، ثم ذكر ما سبق من قبل من النوم على الجانب
الأيمن والدعاء.

4 - جمع الكفَّين وقراءة المَعُودَات مع النَّفْث والمسح
على الجسد ثلاثاً: فعن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُلَّ لَيْلَةٍ جمع كَفَّيه، ثُمَّ نفث
فيهما فقراً فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يمسحُ بهما ما
استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل
من جسده، يفعلُ ذلك ثلاث مرَّات⁽²⁾.

5 - وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، فعن حُذَيْفَةَ بن
اليمان - رضي الله عنهما - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَحَذَ
مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار،
باب ما يقول عند النوم، وأخذ المضجع، رقم (2714).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل
المعوذات، رقم (4729).

بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»⁽¹⁾.

6 - التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم: فعن عليٍّ أن فاطمة -رضي الله عنها- أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرّحى، وبلغها أنه جاءه رقيقٌ، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة -رضي الله عنها-، فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِّمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا -أَوْ أُوتِيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا- فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمَا مِنْ خَادِمٍ»⁽²⁾.

7 - إطفاء مصادر النار عند النوم: فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ»⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الدعوات، باب: وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى، رقم (1103).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب النفقات، باب: عمل المرأة في بيت زوجها، رقم (5046).

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الاستئذان، باب: لا تترك النار في البيت عند النوم، رقم (5935). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها. وإطفاء السراج والنار عند النوم. وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم (2015).

8 - إغلاق الأبواب وتغطية الآنية عند النوم: عن جابر بن عبد

الله - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَجَنَحَ - أَوْ كَانَ جُنْحُ - اللَّيْلِ فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَحُلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئِ مِصْبَاحَكَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَأَوِّكْ سِقَاءَكَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنْاءَكَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ شَيْئًا»⁽¹⁾.

وعنه ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «عَطُّوا الْإِنْاءَ، وَأَوِّكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنْاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ عَلَى إِنْاءِهِ عَوْدًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»⁽²⁾.

9 - غسل الفرج والوضوء للجنب إذا أراد أن ينام: عن

عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان النبي ﷺ إذا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنْبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ)⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم (3106).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها. وإطفاء السراج والنار عند النوم. وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم (2012).

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الغسل، باب: الجنب يتوضأ ثم ينام، رقم (292).

10 - عدم النوم على البطن: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنْ هَذِهِ ضِجَّةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ» ⁽¹⁾.

10 - ذكر الله والدعاء عند الاستيقاظ: فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» ⁽²⁾.

وإذا استيقظ من الليل فليذكر الله وليقم لصلاة ركعتين، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَّ ⁽³⁾ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قَبِلَتْ صَلَاتُهُ» ⁽⁴⁾.

بهذا نكون قد مررنا مرور الكرام بآداب الإسلام حول النوم والاستيقاظ، ومنها نذهب إلى مجموعة أخرى من الآداب، وهي من الأهمية بمكان، وهي الآداب المتعلقة ببيوت الله ﷻ.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (8041)، ج 13 ص 409. والترمذي، الجامع، أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الاضطجاع على البطن، رقم (2768). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الدعوات، باب: وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى، رقم (1103).

(3) أي: استيقظ.

(4) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، أبواب التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلی، رقم (1103).

رابعًا- آداب المساجد

للمسجد آدابه، فقد ذكر أهل العلم آدابًا للمساجد، مستمدة من الوحيين الكتاب والسنة، وهي كثيرة أكتفي ببعضها:

1 - يستحب لبس الثياب الحسنة عند الذهاب إلى المسجد،

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:

[31].

2 - يستحب استعمال السواك عند الذهاب إلى المسجد،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»⁽¹⁾.

3 - عدم أكل الثوم أو البصل ونحوهما قبل الذهاب إلى

المسجد، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»⁽²⁾، فيكره كراهة شديدة أوصلها بعض أهل العلم للتحريم أن يأكل المسلم الثوم والبصل غير المطبوخ ثم يذهب إلى المسجد، لكون رائحتها تؤذي المصلين، وعليه فإن النهي يكون أشد لمن يتعاطى الدخان ونحوه.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (9928)، ج 16 ص 22، قال محققوه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهى من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها، رقم (564).

4 - يستحب الذهاب إلى المساجد مشياً، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُدَلِّكُم عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»⁽¹⁾.

5 - يستحب التبكير إلى المساجد، فيذهب إلى المسجد مبكراً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا»⁽²⁾ عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ»⁽³⁾.

6 - يستحب المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم (251).

(2) يستهموا: يقرعوا بينهم.

(3) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (8872)، ج 14 ص 460. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأذان، باب: الاستهام في الأذان، رقم (590). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، رقم (437).

(4) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأذان، باب: لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار، رقم (610).

7 - يستحب ذكر الدعاء المأثور الوارد في ذلك عند الذهاب إلى المسجد، فيذكر الدعاء الوارد عند الخروج من المنزل، ثم يضيف إليه هذا الدعاء الذي رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: لما خرج إلى صلاة الفجر: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»⁽¹⁾. والمراد بالنور بيان الحق وضيائه والهداية إليه.

8 - والدعاء عند دخوله إلى المسجد، فيقول من الأدعية الواردة في ذلك، فعن أبي حميد ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»⁽²⁾.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النَّبِيِّ ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنْ

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (763).

(2) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، رقم (465). وابن ماجه، السنن، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، رقم (772).

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ....، فإذا قال ذلك قال الشيطان:
حفظ مني سائر اليوم»⁽¹⁾.

9 - وإذا أذن يستحب له أن يتابع المؤذن فيقول مثل ما
يقول إلا في قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح،
فإنه يقول عند كل لفظة منها: لا حول ولا قوة إلا بالله،
لحديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ
الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ،
اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ:
أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ،
قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ،
قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ
أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

ويقول بعد الشهادتين ما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص
عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

(1) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، رقم (466).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم (385).

وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،
غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»⁽¹⁾.

ثم يصلي على النبي ﷺ ويسأل الله له الوسيلة⁽²⁾، فعن عبد
الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي ﷺ
يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ،
فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا
لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ
اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، وَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ
الشَّفَاعَةُ»⁽³⁾. وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ
قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ
التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ
مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁴⁾.

ويشرع له الدعاء بين الأذان والإقامة لما روى عبد الله بن
عمرو -رضي الله عنهما- أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل
قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم
(386).

(2) الوسيلة: درجة في الجنة مختصة بالنبي ﷺ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه
قال: «صلوا عليّ، فإنها زكاة لكم، واسألوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة
في أعلى الجنة لا ينالها إلا رجل، وأرجو أن أكون هو».

(3) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل
قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم
(384).

(4) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأذان، باب: الدعاء عند
النداء، رقم (589).

يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تَعْطَهُ»⁽¹⁾.

10 - يستحب الإكثار في المسجد من ذكر الله، بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك الإكثار من قراءة القرآن، ومن المستحب فيه قراءة حديث رسول الله ﷺ وعلم الفقه، وسائر العلوم الشرعية، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: 36].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُنِيَتْ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»⁽²⁾. وعن أنس رضي الله عنه: «إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عز وجل، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»⁽³⁾.

ويجتنب اللغو واللغو، والخوض في أعراض الناس، وكثرة الحديث في أمور الدنيا مما يقسي القلب، ويبعد عن الله عز وجل.

11 - إذا دخل المسجد يصلي ركعتين تحية المسجد، فعن أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، رقم (524).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد، رقم (569).

(3) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، رقم (285).

(4) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد بركعتين، وكراهة الجلوس قبل صلاتهما، وأنها مشروعة في جميع الأوقات، رقم (714).

12 - النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة،
فعن أبي الشعثاء قال: «كنا قعودًا في المسجد مع أبي
هريرة ؓ فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي،
فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو
هريرة ؓ: (أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ؓ) (1).
بعد الحديث عن آداب المسجد يحلو القول في آداب تلاوة القرآن
الكريم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي
عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، رقم (655).

خامساً- آداب الاستئذان

من الآداب التي نص عليها القرآن الكريم آداب الاستئذان، ونذكر أهمها في مجلسنا هذا.

1 - يحرم على المسلم دخول غير بيته قبل الاستئذان: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27].

2 - يستحب أن يقول: السلام عليكم، أَدْخُلْ؟ عن رُبْعِي قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِّنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلِجْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: «أَخْرِجْ إِلَى هَذَا فَعَلَّمَهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟»، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ⁽¹⁾.

3 - يستحب أن يستأذن ثلاثاً، فإن لم يؤذن له فإنه يرجع: عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ»⁽²⁾.

4 - أن يذكر اسمه، ولا يقول: أنا، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- يقول: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ

(1) أخرجه أبو داود، السنن، أبواب النوم، باب كيف الاستئذان، رقم (5177).

(2) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (19611)، ج 32 ص 338. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثاً، رقم (5891). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الآداب، باب: الاستئذان، رقم (2153).

عَلَى أَبِي، فَدَقَّقْتُ الْبَابَ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنَا أَنَا»، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا⁽¹⁾.

5 - أَلَا يَقِفُ الْمُسْتَأْذِنُ أَمَامَ الْبَابِ بِوَجْهِهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ  قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوِ الْأَيْسَرِ، وَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمِيذٌ سُتُورٌ)⁽²⁾.

6 - عَدَمُ الْإِلْحَاحِ فِي طَلْبِ الْإِذْنِ لِلدَّخُولِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: 28].

هذه بعض الآداب المتعلقة بالاستئذان ننتقل منها إلى مجموعة أخرى من الآداب، وهي الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة.

(1) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الاستئذان، باب: إذا قال: من ذا؟ فقال: أنا، رقم (5896).

(2) أخرجه أبو داود، السنن، أبواب النوم، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، رقم (5186).

سادسًا- آداب الخلاء

الإسلام دين شامل يشمل حياة الإنسان كلها، حتى أخص الأمور به، لذا كانت هناك أحكام وآداب فيما يتعلق بقضاء حاجته، منها:

1 - يستحب الذكر عند دخول الخلاء: فيذكر الله قبل دخوله

للحمام، فعن أنس رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» ⁽¹⁾.

2 - عدم استقبال القبلة واستدبارها في الخلاء وليس في

البنیان: فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَائِطَ، فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّامَ، فَوَجَدْنَا مَرَا حِيضَ بَنِي تِ قَبْلَ الْقِبْلَةِ، فَتَنَحَّرَفُ، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى ⁽²⁾.

ومما يدل على جواز استقبالها أو استدبارها في البنیان ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: (ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ، مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ) ⁽³⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (11947)، ج 19 ص 13. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الوضوء، باب: ما يقول عند الخلاء، رقم (142). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، رقم (375).

(2) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (7368)، ج 12 ص 326. والبخاري، الجامع المسند الصحيح، أبواب استقبال القبلة، باب: قبله أهل المدينة وأهل الشام، والمشرق، رقم (386). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم (264).

(3) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الوضوء، باب التبرز في البيوت، رقم (147).

3 - ترك التكلم بذكر الله ﷻ أو بغيره: فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أَنَّ رجلاً سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو يَبُولُ، فلم يَرُدَّ عليه⁽¹⁾.

4 - عدم الاستنجاء باليمين: فعن أبي قتادة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ»⁽²⁾.

5 - عدم قضاء الحاجة في طريق مسلوك وظل نافع ومورد ماء: فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّائِينَ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»⁽³⁾.

وعن معاذ بن جبل ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»⁽⁴⁾.

6 - عدم قضاء الحاجة في الماء الراكد: فعن جابر ؓ عن رسول الله ﷺ، أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب في كراهية رد السلام غير متوضئ، رقم (90).

(2) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الوضوء، باب: لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال، رقم (153).

(3) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، رقم (269).

(4) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، رقم (26). حسن بشواهد.

(5) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (14777)، ج 23 ص 92-93. ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، رقم (281).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، ثُمَّ يَغْتَسِلَ مِنْهُ»⁽¹⁾.

7 - الاستتار من الناس: فعن عبد الرحمن بن أبي قُرَاد رضي الله عنه قال: (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَلَاءِ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ أَبْعَدَ)⁽²⁾.

8 - الذكر عند الخروج من الخلاء: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: «غُفْرَانُكَ»⁽³⁾.

9 - غسل اليد بالصابون ونحوه بعد الخروج من الخلاء.
هذه بعض الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة ننقل منها إلى مجموعة أخرى من الآداب، وهي الآداب المتعلقة بالكلام.

(1) أخرجه الإمام أحمد، المسند، رقم (8558)، ج 14 ص 231. ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، رقم (282).

(2) أخرجه النسائي، السنن، كتاب الطهارة، الإبعاد عند إرادة الحاجة، رقم (16).

(3) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، رقم (7). وأبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء، رقم (30). وابن ماجه، السنن، أبواب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، رقم (300).

سابغاً- آداب الكلام

للحديث والكلام آداب يراعيها المسلم، من هذه الآداب:

1 - **ألا يتكلم المسلم إلا بالخير:** فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»⁽¹⁾.

2 - **إعادة الحديث وتكراره إذا احتاج إلى ذلك:** فعن أنس

رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا
حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ
ثَلَاثًا⁽²⁾.

ومما يدل على ذلك فعله ﷺ فعن عبد الله بن عمرو -رضي
الله عنهما- قال: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ،
فَأَدْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ،
فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ
لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا⁽³⁾.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ
بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ»، ثَلَاثًا، «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، رقم (5672).

(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه (91).

(3) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم، رقم (60). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، رقم (240).

وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ⁽¹⁾.

3 - ألا يزكي ويمدح المتكلم نفسه في أثناء حديثه إذا لم يكن حاجة ماسة لذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32]. وقال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 49].

4 - أن يُطهر لسانه من الفحش والبذاءة ولو مازحًا: والفحش: هو السب والشتم، والتعدي في القول والفعل، فقد كان النبي ﷺ أكمل الناس خُلقًا، وأبعدهم عن بذىء القول وساقطه، وكان ينهى عن الفحش في القول، واللعن، وغير ذلك من الأقوال الباطلة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»⁽²⁾.

5 - ترك الجدل والمراء: فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة، رقم (6521). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (139).

(2) أخرجه الترمذي، الجامع، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في اللعنة، رقم (1977)، وقال: حسن غريب.

(3) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (4800).

6 - عدم التنايز بالألقاب: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

يُبْسُ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 11]⁽¹⁾.

7 - كراهة التشدُّق في الكلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ

ﷻ يُبْغِضُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلسَانِهَا»⁽²⁾.

أي: يتشدَّق بلسانه، ويتقعر في الكلام، ويتكلف الفصاحة، فيكلف الكلام لفاً كما تَلْفُ البقرةُ الكلاً بلسانها لفاً. فشبهه مَنْ يتفاح ويكلف البلاغة والفصاحة بالبقرة التي تُحَرِّك لسانها وتمده وتُميله يميناً وشمالاً.

8 - الحذر من الغيبة والنميمة: والغيبة أن تذكر أخاك بما

يكره في حالة عدم وجوده، ولقد حذرنا الله ﷻ من الغيبة

ووصف فاعلها بأقبح الأوصاف فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَبِ

بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].

وكذلك حذرنا النبي ﷺ منها بقوله: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ

بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ! لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ،

وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهَ

عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»⁽³⁾.

(1) بل يخاطبه من يخاطبه بأحب الألقاب إليه، كقوله: يا أبا فلان، يا أستاذ، يا دكتور، يا شيخنا... إلخ.

(2) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدد في الكلام، رقم (5005).

(3) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (4880).

وكذلك جاء التحذير الشديد من النسيمة في قول النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ». وفي رواية: «قَتَاتٌ»⁽¹⁾. والنمام: الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم حديثهم، والقَتَات: الذي يتسمع للقوم -وهم لا يعلمون- ثم ينم حديثهم.

9 - ونهينا عن التحديث بكل ما نسمع: لأن الحديث المسموع من الناس فيه الكذب والصدق، فإذا حدث بكل ما سمع، فإنه سيحدث بالكذب جزماً، لذا كان المحدث بكل ما سمع كذاباً، يقول النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»⁽²⁾.

ومن ذلك نشر كل ما يأتينا من منشورات عبر مواقع التواصل الاجتماعي دون التوثق منها.

10 - الحذر من الكذب: والكذب هو الإخبار بغير الواقع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، المقدمة، باب بيان غلط تحريم النسيمة، رقم (105).

(2) أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم (5).

(3) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم (33). ومسلم، الصحيح المسند، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (59).

11 - عدم مقاطعة المتحدث: فمن الأدب عدم قطع حديث الناس وكلامهم، فإنَّ ذلك يشقُّ عليهم ويوغر صدورهم.

12 - ألاَّ يتناجى اثنان دون الثالث: والتناجى هو أن تسر قولاً لبعض الحاضرين دون بعض، فقد نهى القرآن عن التناجى في غير البر والتقوى، فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ①﴾ إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿[المجادلة: 9-10].

ونهى عن ذلك رسوله ﷺ فعن عبد الله بن مسعود ؓ قال النبي ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ».

وفي رواية أخرى عنه ؓ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»⁽¹⁾. فقد يظنُّ أنه دون مستوى الكلام، أو أنهما يتآمران عليه، ويُدبِّران شيئاً ضده.

بآداب الكلام ننهي مجلسنا الأخير سائلين الله ﷻ أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(1) أخرجهما مسلم، الصحيح المسند، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، بغير رضاه، رقم (2184).

الخاتمة

بهذا يا أبنائي نكون قد وصلنا إلى نهاية كتابنا وقد وضعنا فيه
عُصارات العلوم الشرعية لما ينبغي أن تعلموه منها، وقد حرصنا
أن نجعل ما جاء في هذا الكتاب من علم مؤصلاً مستنداً إلى الأدلة
الشرعية، لذا كنا في كثير من الأحيان نورد الأدلة الشرعية لما قيدناه.
وأوصيكم أبنائي في الختام أن تأخذوا هذا العلم لتعملوا به
ولتطبقوه في حياتكم، كي يكون لكم حجة عند الله يوم القيامة لا
حجة عليكم، وبخاصة ما يتعلق بطهارة قلوبكم، وسلامة اعتقادكم.
وارجعوا إلى المجلس السابع وراعوا آدابه في أوقاتكم كلها،
وتخلقوا قبل ذلك بالأخلاق الواردة في المجلس السادس وعلى
رأسها بر الوالدين والإخلاص، واستحضروا النية ﷻ في أول كل
عمل تقومون به.

ونوصيكم أن تضعوا لأنفسكم برنامجاً عملياً ينهض بمستواكم
الإيماني، من خلال محافظتكم أولاً على الصلوات الخمس في
المسجد، مع المحافظة على أداء السنن الرواتب قبل الصلاة وبعدها،
وأداء ما ييسر لكم من نوافل الصلوات وعلى رأسها صلاة الضحى

وصلاة الوتر، وعلى ركعتين قبل الوتر تنوون بها قيام الليل قبل أن تأووا إلى فراشكم، إذا لم تستطيعوا الاستيقاظ لها قبل الفجر. وحاولوا أن تعودوا أنفسكم على صوم النوافل، ولو أن تصوموا يوماً في كل شهر.

واجعلوا لكم في كل شهر ختمة للقرآن بحيث تقرأون يوماً جزءاً منه، فإن ضاق بكم الوقت فليكن وردكم لا يقل عن حزب، لتختتموا القرآن في شهرين على الأقل، هذا مع المحافظة على مقدار من الآيات تحفظونه يومياً.

ولا بد من التنبيه على أن المسلم يجب عليه أن يقرأ القرآن الكريم وفق القواعد المرعية في علوم التجويد، لذا ينبغي على كل مسلم أن يتعلم أحكام التجويد من خلال المشايخ والأساتذة الذين أتقنوا علم التجويد، وفي هذا الكتاب لم نتطرق لهذا العلم لأنه علم لا يؤخذ إلا مشافهة من أستاذ متقن، فتعلموا أحكام التجويد في حلقها في بيوت الله وفي دور القرآن حتى تصبحوا ممن يتلون القرآن حق تلاوته.

وكذلك ضعوا لأنفسكم ورداً يومياً من الذكر، وبخاصة أذكار الصباح والمساء، وأكثروا في يومكم من الصلاة على النبي ﷺ. وأوصيكم بتبليغ ما في هذا الكتاب من علم وتوجيهات إلى إخوانكم وأخواتكم وإلى أقرانكم وزملائكم في الدراسة، فالدال على الخير كفاعله.

مكتبة

t.me/soramnqraa

ولا تنسوني من دعائكم....

ودمتم بحفظ الله ورعايته

ما لا يسع الفتي المسلم جهله

هذا الكتاب الموجه إلى أبنائنا وبناتنا من الفتيان والفتيات، ليقدم لهم زادًا من الثقافة الشرعية التي تهمهم في مرحلتهم العمرية من البلوغ إلى تخرجهم في المدرسة الثانوية.

وقد تَكُونُ هذا الكتاب من سبعة محاليس: مجلس في العقيدة والإيمان، ومجلس في علوم القرآن الكريم وتفسيره، ومجلس في الحديث النبوي الشريف وبعض مصطلحه، ومجلس يتكلم عن بعض أحكام الفقه المتعلقة بالطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج، ومجلس ترافق فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- من خلال استعراض بعض سيرته، ومجلس يتحدث عن أهم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الفتى المسلم، ومجلس آخر في الآداب الإسلامية.

حرص المؤلف على ألا ينقل في كتابه إلا ما دلَّ عليه الدليل من كتاب الله ومن السنة المقبولة عند أهل الحديث، والابتعاد عن الخلاف بقدر ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وسلك فيه بأسلوب الحوار بين شيخ أو أستاذ وتلامذته ليكون أقرب إلى الأذهان والقلوب، إلا في بعض المواطن التي رأى فيها السرد أولى من الحوار.



أعمال
أخرى
للكاتب

مكتبة
t.me/soramnqraa



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb